T/909.006

- الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
- وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

- جامعة قالمة
- كلية الحقوق و الآداب
- و العلوم الاجتماعية

قسم علم الآثارو التاريخ
مدرسة الدكتورة

N.D
N.S
N.C.D.R

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار القديمة

تحت عنوان :

مونوغرافيا أثرية و تاريخية لمدينة روسيكاد (الڤتة الرومانية)*

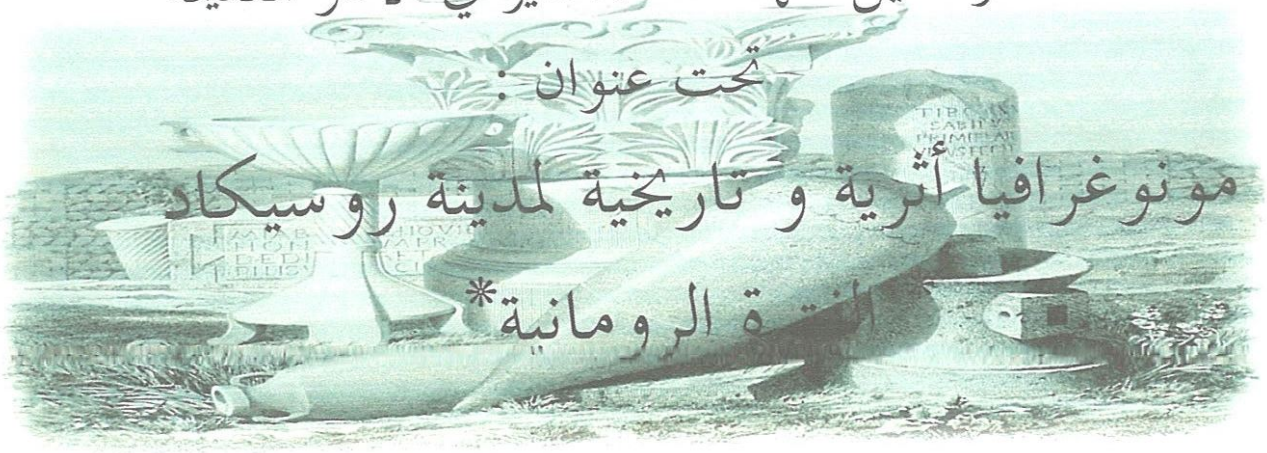

من إعداد الطالب:
محمد تيش تيش عبد القادر

تحت إشراف الدكتور:
حاجي ياسين رابح

2012/2011

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى والدايا الكريمين ..

إلى كافة أفراد عائلتي ..

إلى أسرتي الصغيرة ..زوجتي التي تحملتني طيلة مدة انجازي هذا البحث.. و نوارتي العطرة نسريـــــــــــــن و التي كانت تمحو طلاتها البريئة عنائي كله.. اهديكم هذا العمل.

الحمد لله الذي وفقني الى انجاز هذا البحث فلو لا تسهيله ماكان ليكون سهلا فله وحده الحمد كله وله الثناء الحسن .

كما أتوجه أيضا من بعد الله بخالص الشكر للأستاذ المشرف على ما قدمه لي من إرشادات و توجيهات خلال انجازي لهذا البحث المتواضع و كذالك أوصل شكري إلى كل من أمدني بيد العون من قريب أو من بعيد عن قصد أو غير قصد .. فللجميع شكري الخالص.

مقدمة:

كان لزاما أن اختار هذا الموضوع لان تراث مدينة سكيكدة الاثري أضحى يصرخ مستغيثا بمن يعيد إحياءه من جديد، فتراث هذه المدينة أو ما بقي منه لم يعد يحتمل أكثر البقاء في صمت ، و لطالما كان الطلبة يعانون من هذا النقص العجيب في المراجع التي تهتم بآثار مدينة روسيكاد، حتى أن القليل من الناس حتى من بين أبناء المدينة أنفسهم من يعرف أن هناك مدينة اسمها روسيكاد يمشون تقريبا في شوارعها عندما يمشون هم اليوم في شوارع سكيكدة.

ورغم أنها كانت عظيمة و رغم أن روسيكاد كانت الباب المشرع على الضفة الأخرى كما سنراه في أطوار هذا البحث، إلا أنها و يا لغرابة الأمر لم تحظ بذلك الاهتمام الذي يفترض أن تناله مدينة بهذا الحجم .

لقد كنت اعمل ذات يوم بالمتحف البلدي روسيكاد، و كنت في بداية الأمر انظر إلى تلك التحف الموجودة بداخله كمن ينظر إلى الفراغ ، فلم أكن أراها و ذلك لسبب واحد ، أن هذه التحف بالإضافة لافتقادها لظروف العرض العلمي و افتقادها لبطاقات تقنية، كذلك لا توجد مراجع عنها لتضعها أمام ناظري في إطارها التاريخي.

فلم يكن المتحف يتوفر سوى على كتيبات وقصاصات هزيلة لا تسمن و لا تغني من جوع، وكنت مضطرا وأنا صاحب الليسانس في الآثار الإسلامية أن التهم أي معلومة عن روسيكاد القديمة حيثما وجدتها وهذا رغم ندرتها الحادة، و هو ما شكل لدي شيئا فشيئا هاجسا سرعان ما تحول إلى رغبة في احتواء تاريخ المدينة و آثارها وكتابته من جديد في إطار علمي يليق بحجم و سمعة روسيكاد.

و قد رأيت أن الفرصة لذلك مواتية بعد نجاحي في مسابقة مدرسة الدكتوراه بجامعة قالمة تخصص أثار قديمة، و لذلك اغتنمت هذه الفرصة للقيام بهذا المشروع الحلم، و ذلك بعد أن استشرت الكثير من الأساتذة الأصدقاء، و الذين شجعني اغلبهم على ذلك، رغم المخاوف التي كانت تنتابني من مثل هذا الموضوع و الذي قد يتطلب تشعبا ببيليوغرافيا و البحث في شتى المجالات بالإضافة إلى الوقت و النفس، و الواقع أن مخاوفي تلك كانت في محلها، لأنني صرت أتمنى اليوم لو أنني لم أخض غمار هذا البحث، و الذي أرى أنني كنت مقصرا جدا في انجازه.

فكتابة مونوغرافيا أثرية عن مدينة ما، هو عمل يستدعي توفر الكثير من المعلومات، كما انه يستلزم وقتا و إمكانيات معتبرة لتحقيقه و انجازه على الوجه المرجو منه، أما كتابة مونوغرافيا عن مدينة روسيكاد تحديدا فهو المغامرة بعينها، ذلك أن هذه المدينة قد عرفت مجزرة بل من بين أبشع المجازر في حق التراث الأثري في العالم.

فقد بنى الفرنسيون غداة احتلالهم المدينة سنة 1838م مدينتهم فليب فيل على أنقاض المدينة الرومانية تماما، وذلك بهدف استنساخ مدينة الأجداد في ثوبها العصري، لكن ذلك كان بالهمجية القصوى و الوندالية الجديدة بحسب شهادة أبناء فرنسا أنفسهم ممن عاصروا أحداث تلك المجازر الأثرية.

وكان من بين نتائجها محو و اقتلاع من على وجه الأرض الكثير من المعالم الأثرية، على غرار مثلا لا الحصر، المدرج أو السيرك، و الذي اقتلع بشكل لا مبرر له تماما، و تهريب العديد من القطع الأثرية الثمينة سواء بقيمتها العينية أو التاريخية إلى مختلف متاحف فرنسا و منها متحف اللوفر، بالإضافة إلى طمس قطع ومعالم أخرى و دفنها إلى الأبد تحت غطاء العمران الجديد.

حدث ذلك دون أن تكون هناك مواكبة مستمرة لتغطي بالوصف و التوثيق ما كان يجري حينها بموقع المدينة، حتى يتسنى لنا الاطلاع على الأقل و معرفة طبيعة و شكل تلك المعالم التي انتهى وجودها على يد إما الهندسة العسكرية أو إدارة الأشغال العمومية، مع استثناء طبعا بعض المحاولات هنا و هناك و التي توقفت هي الأخرى باستيفاء المدينة الجديدة لنصابها من الموقع الذي كانت تحتله روسيكاد.

كل ذلك جعل من الصعب اليوم الخوض في دراسة أثار المدينة على اعتبار أن اغلبها أو أن كلها إلا قليل قد اختفى، و أن ذلك بالتالي سيجعل من الحديث عنها مجرد تخمين لا أكثر.

إضافة إلى أن ما كتبه بعض ضباط الجيش في البداية و ما حاول لاحقا إعادة كتابته الأكاديميون و المختصون لا يعد كافيا بالنسبة لمدينة بحجم روسيكاد، إذ فما عدا ما قام به شارل فار و فناك و شابسيار و لويس برتران و قزال فان البقية الباقية لا تغطي إلا مناطق ضيقة و لا تشمل إلا معالم محددة و معزولة، و هو ما يستدعي في حد ذاته جمعه و إعادة كتابته من جديد.

كما أن هذه الأعمال كلها قد توقفت ولم يعد هناك إلا كتابات قليلة جدا عن روسيكاد انطلاقا من سنة1914م، بحيث يمكن القول أن تلك المساحة الزمنية منذ ذلك التاريخ إلى اليوم قد بقيت شاغرة فيما يتعلق سواء بالبحث الأثري أو التاريخي للمدينة.

لذلك نجد أنفسنا اليوم ملزمين قبل القيام بأي عمل أخر بضرورة إعادة قراءة ما كتب عن تراث المدينة و صياغته من جديد في ظل الاكتشافات الجديدة و في ظل الواقع الأثري الذي تعيشه ، وهذا في محاولة لتحديد نقطة انطلاق نحو الإعداد لإعادة تصور لشكل و فيزيونومية روسيكاد و العوامل التي خضع لها التوزيع العمراني بهذه المدينة وفهم دورها التاريخي و المراحل التي عرفتها ، وهي الإشكالية التي حاولت من خلال هذا البحث المتواضع أن أتطرق إليها.

وقد اعتمدت في تفكيك هذه الإشكالية و الإجابة عليها على منهجية بسيطة تنطلق من العام إلى الخاص ومن الخارج إلى الداخل، بحيث انه قبل أن ألج في تفاصيل العنصر موضوع البحث كنت أتطرق إليه أولا بشكل شمولي ثم أحاول لاحقا الخوض في التفاصيل، كما أنني أيضا كنت انطلق من الخارج ثم التوغل بتتبع مختلف المكونات التي توصل أو تتدرج إلى داخل المدينة.

أما فيما يتعلق بخطة البحث فقد ارتأيت أن تكون البداية بمدخل عام للإطار الجغرافي و الطوبوغرافي و الجيولوجي للمدينة، و كذا أصل التسمية الذي يتضمن نبذة تاريخية عن المدينة و هذا حتى تكون للقاري رؤية واضحة للإطار البيئي و التاريخي الذي نشأت فيه هذه المدينة.

و قد اعتمدت على نظام الترقيم فيما يتعلق بفصول البحث بدلا من اعتماد مبدأ الفصول، و ذلك حتى يتسنى تطبيق المنهجية سالفة الذكر من الخارج إلى الداخل، بحيث كنت أتتبع مجموع المكونات المحيطة بالمدينة، و منها الميناء و الطرق ثم المقابر فلأسوار وبعد ذلك مختلف المرافق العمومية داخل المدينة، مع الإشارة هنا إلى أن روسيكاد تتميز بخصوصية جعلتني أبتعد أحيانا عن هذه المنهجية، و المتمثلة في وجود الميناء بمنطقة سطورة، هذه الضاحية التي اعتبرت منذ القديم امتدادا للمدينة و أنها بالتالي تشكل معها مدينة واحدة، و هذا الأمر جعلني في كثير من الأحيان انتقل بين المكانين عندما يتعلق الأمر ببعض المعالم المشتركة كالمنشات المائية مثلا.

و في الأخير فقد قدمت ملحقا للأشكال و أخرا للصور يوجد منها ما يعرض لأول مرة ، كما أنني قمت بمطابقة بعض الأشكال مع الصور في خطوة تهدف إلى توفير قراءة جديدة للنص أو المتن و أيضا لتبيان حالة تلك المعالم في فترة الاحتلال الأولى و ما ألت إليه اليوم.

يبقى أن أشير في ختام هذه المقدمة أنني واجهت الكثير من الصعوبات في عملي هذا و من بينها صعوبة تحديد أمكنة بعض المعالم و البقايا الأثرية على وجه الدقة، و ذلك بسبب تغيير العديد من أسماء الشوارع مرارا في فترة الاحتلال، حيث أن بعض الأسماء كانت قد اختفت تماما عن التداول، دون أن أتمكن من معرفة مكانها ضمن مخطط المدينة الاستعمارية، على غرار استعمال البعض في تحديد مناطق الاكتشاف على اسم الملكيات الخاصة و التي قد يتطلب الأمر في تحديد مكانها في ذلك الوقت المبكر من الاحتلال بحثا مستقلا.

كذلك فان تغير الشكل الطوبوغرافي للمدينة و ضواحيها حال أحيانا دون قراءة بشكل أفضل و سليم مختلف المعالم سواء داخل او خارج النسيج العمراني للمدينة.

و من بين المشاق التي واجهتها أيضا صعوبة الوصول إلى بعض المراجع و المصادر التي يمكن القول عنها أنها نادرة تقريبا، من مثل كتاب فناك الذي استغرق الأمر وقتا طويلا قبل أن أتحصل عليه، كذلك وجود اغلب الكتابات الأثرية الخاصة بروسيكاد متفرقة في مختلف المجلات و الدوريات مما كلفني الكثير من الوقت حتى أتمكن من جمعها .

أخيرا فان عامل الوقت و الارتباطات المهنية و العائلية حال دون القيام بعمل أفضل مما كان يتوجب القيام به.

إلا انه في الختام و رغم النقائص التي خرج بها هذا البحث سواء بسبب تلك الأسباب و الظروف و غيرها فان ما قمت به كان دافعه واحد في جميع الأحوال، و هو الحرص على تحديد نقطة بدء و قاعدة للانطلاق نحو إعادة إحياء تراث مدينة سكيكدة، و التعريف بتاريخها الغائب أو المغيب عن دائرة النقاش العلمي الأكاديمي، وبقي فقط مجرد أحاديث تلوك هنا و هناك في الأزقة الضيقة.

مدخل :

الإطار الجغرافي.

الطبيعة الجيولوجية.

أصل التسمية.

تاريخ الأبحاث.

الموقع الفلكي:

36° 52’ 45’’ شمالا

06° 54’ 24’’ شرقا

الموقع الجغرافي :

طابسا ، طابسوس ، روسيكاد ، فيليب فيل و أخيرا سكيكدة مدينة تقع على الساحل الشرقي للقطر الجزائري ، يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط، شرقا ولاية عنابة ، أما من الجنوب فولايتي قالمة و قسنطينة، غربا ولاية جيجل.(الشكل01، 02، 03)

وضعتها الجغرافيا القديمة في عمق الخليج النوميذي ، خليج سطورة حاليا و هو الخليج الذي يندفع أكثر باتجاه الشمال مقارنة مع بقية الساحل الجزائري، مما جعله من أعلى مناطق الوطن تسجيلا لنسبة تساقط الأمطار.(الشكل 04)

ويمتد هذا الخليج من" رأس بوقارون "غربا الى" رأس الحديد" شرقا و الغريب أن الجغرافي اليوناني يحشر مع هذا الخليج، خليجا أخرا يطلق عليه اسم "الاولكاشيت"، و هي تسمية لم يتسن لأحد بعد معرفة أصولها، و يفترض أن هذا الخليج يبدأ عندما ينتهي الأول عند "رأس فلفلة" إلى غاية رأس الحديد شرقا[1].

نشأت المدينة بين جبلي المحادر أو رأس سكيكدة أو بوعباز حاليا،[2] من الناحية الشرقية و بويعلى غربا، حيث يقسمها مجرى واد صغير إلى قسمين.(الشكل 05، 06، 07)

و قد تميزت التضاريس المحيطة بالمدينة بتشكيلات فيزيائية يغلب عليها الطابع الجبلي، و التي هي بالأساس امتداد طبيعي لسلسلة جبال الأطلس التلي، و التي ترتمي في البحر المتوسط ، و تتميز بالكثافة الغابية و الأودية العميقة كلما زاد اتجاهنا غربا، أما من الناحية الجنوبية فتتميز بالسهول و المنخفضات الخصبة ذات الجودة العالية نتيجة الفيضانات المستمرة للأودية.

---

[1] Pellisssier (E). Exploration de l’Algérie pendant les années 1840 ,1841,1842. Paris. P 365.

[2] شخصيا أفضل التسمية الثانية أي رأس سكيكدة لكونها التسمية التي كان يتداولها السكان قبيل الاحتلال، و هي الأكثر استعمالا بين المؤلفين، كما أنها ذات ارتباط وثيق بالتسمية الأصلية للمدينة أي "روس ايكادة ".

وعموما فإننا نجد بالناحية الجنوبية و الجنوبية الشرقية للمدينة سهلين كبيرين هما سهل "زرامنة" الذي ينبسط عند مدخل المدينة جنوبا، و يبدأ هذا السهل في الاتساع بداية من منطقة الحدائق (07 كلم عن المدينة)، ليصل إلى حدود 1000م، يتخلله وادي الزرامنة الذي ينبع من مرتفعات "اسطيحة" على بعد 21 كلم جنوب غرب مدينة سكيكدة، و يأخذ مجراه باتجاه الشمال الشرقي ، و سهل "صفصاف" الذي يتكون بدوره من سلسلة من السهول التي تبدأ من منطقة الحروش، مرورا بكل من صالح بالشعور ، رمضان جمال ، الماجن، حمادي كرومة على مسافة تقدر بـــ 24 كلم، و عرض يفوق 10 كلم، ويتخلله وادي الصفصاف و الذي يأخذ اتجاه شرق شمال شرق، أخيرا يلتقي السهلين بالتقاء واديهما عند الجهة الجنوبية الشرقية لجبل سكيكدة، حيث كانا يشكلان حسب تقارير النقيب برانكارد BRINCARD مستنقعا من 600 إلى 800م^2 على شكل دلتا[3]. (الشكل 06)

المناخ :

مناخ المنطقة هو مناخ البحر الأبيض المتوسط الذي يتسم بالاعتدال حيث يكون ممطر و دافئ شتاء بنسبة تساقط تزيد عن 1000 مم سنويا بسبب تكاثف الرياح الغربية و الشمالية الغربية المحملة بالرطوبة على مستوى جبال الأطلس التلي التي تعرف اعلي ارتفاعاتها بالمناطق الغربية كما سبق ذكره وبطقس حار و جاف صيفا[4].

[3] Edouard solal, Philippeville et sa region 1837- 1870, Edition la maison des livres, Alger ,page 14.

[4] أطلس الجزائر و العالم دار الهدى عين مليلة الجزائر ص 26 .

الغطاء النباتي :

يتميز الغطاء النباتي للمنطقة بالتواجد الكثيف للغابات خاصة في الجهة الغربية للمدينة حيث شكلت منذ الفترات القديمة عقبة أمام كل جهود القوى الغازية التي حاولت السيطرة عليها، كما أنها أيضا بالمقابل كانت توفر ثروة طبيعية لمن يحسن استغلالها[5]، و تشكل أشجار البلوط و الزان و الصنوبر أهم هذه الثروة الغابية، وينتشر هذا النوع من الأشجار بقوة بمناطق كل من القل ، عين الزويت وصولا حتى السفوح المطلة على خليج سطورة، بالاضافة إلى وجود أنواع أخرى من الأشجار و الشجيرات التي لا يمكن إحصاءها، مشكلة نسيجا غابيا متلاحما، أما بباقي الجهات الأخرى فإنها اقل كثافة، و هي عبارة عن مناطق متفرقة من الأحراش الغابية، أما فيم يتعلق بالأشجار المثمرة، فتعد الكروم و الحمضيات و أشجار التين و الزيتون من أكثر الأنواع زراعة بالمنطقة، وكذلك الخضراوات بجميع أنواعها، أما زراعة الحبوب و القمح فهي تتركز أكثر كلما اتجهنا نحو المناطق الداخلية .

[5] كانت الشركات الاحتكارية الأوروبية تستغل هذه الثروة خلال الحكم العثماني بالجزائر في إطار العقود التي كانت تبرمها مع سلطات البايلك بقسنطينة، كما كانت تستغل هذه الأخيرة أيضا أخشاب المنطقة في إطار ما يعرف بنظام الكراسطة.

الطبيعة الجيولوجية :

يمكن تقسيم ملامح الرسم الجيولوجي لمنطقة سكيكدة وفق ما يفرضه الواقع الجغرافي لهذه الأخيرة، و التي كما ذكرنا أنفا تنقسم إلى تشكيلتين متباينتين، هي سلسلة جبال الأطلس التلي غربا و المناطق السهلية و الجبال الأقل ارتفاعا باتجاه الشرق و الجنوب، فإذا كانت الأولى تتميز جيولوجيا بواقع الصخور الشيستية الطينية وبعض طبقات الكوارتز و التي تميز معظم الأطلس التلي[6]، فان التشكيلة الثانية تتميز بثرائها الجيولوجي نتيجة الثوران الغرانيتي الذي أدى إلى تصلب الصخور الشيستية و الجيرية ذات التكوين الكريتاسي، و عمل على تطعيم الصخور الرملية بالمواد المعدنية خاصة بمناطق فلفلة و وادي المساجد و صولا حتى رأس الحديد شرقا[7] إذ باتت هذه المناطق محل استكشاف علماء الجيولوجيا بحثا عن مناجم الحديد،[8] و التي يعتقد فورنال Fournel بشأنها أنها كانت محل استغلال من طرف الوندال في منتصف القرن الخامس[9].

وغني عن التعريف هنا أن نذكر أن أحد أهم مناجم الرخام يتواجد على مستوى هذه المنطقة و نعني به منجم الرخام بفلفلة المتميز بجودته العالية وصيته العالمي، و الذي يمكن بسببه كما يعلق على ذلك فناك أن نفهم بسهولة لماذا كانت مدينة روسيكاد تحظى بتلك العمارة الفاخرة[10].

---

[6] أطلس الجزائر و العالم ، نفسه، ص 22.

[7] Fournel Henri, Richesse minérale de l'Algerie, tome 1, Paris 1850, p 113.

[8] كان ذلك طبعا بإيعاز من السلطات العسكرية في إطار الحملة الاستكشافية التي أطلقتها فرنسا من اجل تحديد بشكل دقيق المقومات الطبيعية للبلاد بغرض وضعها قيد الاستغلال.

[9] Fournel, ibid, p 113.

[10] Emanuel Vincent Fenech , Histoire de philippeville , Philippeville1852, p 27.

أصل التسمية:

لم يكن من الصعب معرفة الاسم القديم للمدينة التي وقع عليها الفرنسيون صدفة[11]، فالحملة التي قادها الجنرال نيقريي Négrier بتاريخ 09 افريل 1838م من قسنطينة، التي سقطت بين يـــــدي الاحتلال عاما من قبل، باتجاه الشمال بحثا عن منفذ بحري، أوقفته بعد ثلاثة أيام من الســـــير أمام أنقاض مدينة كاملة[12]، لازالت بعض معالمها في ذلك الوقت كما لو أن المتفرجين - كما يصف فناك Fenech - " قد اخذوا فقط بالأمس مقاعدهم على المدرجات التي بالكاد لفحتـــها السنون بلون القدم "[13]، لم يكن من الصعب معرفة اسم هذه المدينة الأنقاض، ذلك أن جنود الاحتلال عندما بدؤوا أولى تحصيناتهم العسكرية كانوا قد اعتمدوا في ذلك على حجارة المباني التي وجدوها مبعثرة في عين المكان[14]، وكذلك عثروا أثناء قيامهم بتلك الأشغال على كتابة نقشت على قاعدة تمثال عثر عليه بقلب المسرح، وليس السيرك أو المدرج كما تم الاعتقاد في البداية، وهذا بسبب عدم التعرف على المعلم وقتها نظرا لوجود معظم أجزائه تحت الأرض، يتحدث فيها صاحبها وهو "ايميليوس بالاطور" Emilius ballator عن إهدائه لتمثالين احدهما للإلهة "فينوس" راعية مدينة روسيكاد، بالإضافة لإهدائه من ماله الخاص عشرة ألاف سيسترس أنفقها على تزيين المسرح، والأخر لأنونة روما، وبمناسبة هذا الإهداء أقام ألعابا بالمسرح ووزع الطعام على المواطنين وختم " مكان التمثالين اختير بأمـــر بلدي "(الشكل08)

كان الاسم القديم لتلك المـــدينة إذن « روســـــيـــــــكـــــــاد »

---

[11] لم يكن الفرنسيون يجهلون وجود مدينة رومانية بتلك الأنحاء بقدر ما كانوا يجهلون الموقع تحديدا الذي بنيت فيه، وهنا يكمن وجه المصادفة، هذا وقد كان الهدف من حملة نيقريي هو استكشاف ميناء سطورة الذي يبعد عن روسيكاد باتجاه الغرب ب 4 كم من اجل إيجاد منفذ بحري لتامين الإمداد اللوجيستي.

[12] Edouard solal. Op. cit. p 46.

[13] E.V. Fenech. Op. cit. p 6.

[14] كان المارشال(Valée) فالي هو من أعطى الأمر باستغلال ما بقي من المعالم الرومانية المنتشرة بالمنطقة في إنشاء تلك التحصينات، إلى درجة وصل الأمر بالجنود أنهم قاموا بقلع صرح المدرج كاملا حتى أساساته، وهو ما دفع بالبعض لاحقا إلى وصف مثل هذه الأعمال بالوندالية، في وقت ذهب فيه البعض إلى تبرير موقف المارشال على اعتبار أن هذا الأخير اقتنع بان إحياء المدينة يقتضي الاعتماد على المخطط الروماني لكن في إطار ظروف عصرية مغايرة ، و هو ما دعاه إلى استعمال بقايا المعالم الرومانية سواء كمواد بناء أو كأساسات لمباني جديدة. (يراجع. Fenech.ibid. p 7) .

GENIO COLONIAE VENERIAE RUSICADIS ، وقد وضعت تحت الرعاية المباشرة للإلهة فينوس راعية العائلة الإمبراطورية.

بعد ذلك عثر على العديد من النصوص الأدبية والنقشية والتي يرد فيها اسم روسيكاد مصرفا إلى مختلف الحالات الإعرابية، والتي تثبت كلها أن الاسم الصحيح للمـــدينة هو "روسيكاد" لا كما ساد الاعتقاد لدى الكثيرين، خاصة مع بداية الاحتلال، من أن اسم المدينة هو"روسيكادا"[15]، أو كما ورد أيضا في بعض مصادر القرون الوسطى، ذلك أن ما سينتج عن كتابة الاسم وفق ذلك الشكل الأخير لن يكون موافقا لم هو موجود في مختلف النصوص التي عثر عليها إلى حد الآن والتي ورد فيها اسم روسيكاد مصرفا على هذا النحو:

RUSICADI، RUSICADIS، RUSICADENSIS، RUSICADEM [16]

و كلها كما تبين تفرض حتما أن يكون الاسم الصحيح لتلك المدينة الساحرة روسيكاد وليس غيره.

هذا وقد تداول العديد من الكتاب على تحليل أصول هذا الاسم، والذي اتفق غالبيتهم على انه ذو أصول فينيقية، وانه يتكون من شقين، روس: والتي تعني الرأس أو القمة، وهو تقليد شاع استعماله لدى الفينيقيين في إطلاق تسميات تبدأ بـــ " روس " على شتى الأماكن التي ترسو سفنهم بخلجانها على غرار كل من:

روسوكوروس ، *(RUSUCCURUS)* : دلس.

---

[15] في الحقيقة لو أننا أخذنا بأصول التسمية الفينيقية فان هذا الاسم يغذو صحيحا أي "روس ايكادة "وهي نفس التسمية التي احتفظ بها الرومان بعد ذلك مع فارق التحوير الذي طرأ عليها وفق ما تفرضه قواعد اللغة اللاتينية هذا ويذكر بومبنيوس ملا اسما مشابها تماما (Rusgada) كنا لنعتقد انه يتعلق بمدينتنا هذه لولا انه وضع هذه المدينة في إطار جغرافي بعيد أي بموريتانيا القديمة. يراجع: Nisard. Colection des Auteures latin. Paris 1850.Liv I. p 606.

نذكر أن بعض المتعسفين حاولوا عبثا نسبة هذه التسمية إلى أصول لاتينية بحتة، إلا أن مقارباتهم في ذلك لم تستند إلى أي دليل علمي، من ذلك اعتبار التسمية ذات شقين روس و« كيكاد » (Ruscicade) التي تعني الصرصور، معتقدين انه على منوال الفرنسيين فيما بعد فان الرومان قد لاحظوا وجود هذا النوع من الحشرات بكثرة على السفوح المطلة على البحر للمنطقة فقاموا بإطلاق هذه التسمية نسبة إليها، وهو أمر حمله الفرنسيون بجدية بالغة في البداية، إلى درجة أنهم وضعوا ثلاثة صراصير على شعار مدينة فليب فيل. يراجع: Louis Bertrand. Histoire de Philippeville.Philippeville 1903. P 6

[16] Gsel (S). Inscription Latines de l'Algerie.. Paris 1922. Tome II. p 1

روسوبكاري ،(*RUSUBICCARI*) : مرس الجاج.

روسوبسر ، (*RUSUBESER*) : ازفون.

رشقونيا، (*RUSGUNIAE*) : ماتيفو[17].

وربما يعود السبب في ذلك إلى شدة اعتمادهم على الرؤوس المطلة على الخلجان لتوجيه سفنهم من خلالها إلى الموانئ التي كانوا ينشئونها كل ثلاثين إلى أربعين ميلا، أو ما يعادل مسيرة يوم بسرعة سفن ذلك الوقت على امتداد سواحل المتوسط.

وكذلك كان الشأن بالنسبة لروسيكاد التي استعمل الفينيقيون فيها جبل لمحادر أو رأس سكيكدة أو بوعباز حاليا، وهو جبل داخل في البحر ومهيمن بقمته العالية على فضاء المكان من حوله لتوجيه سفنهم من خلاله إلى خليج سطورة حيث الميناء، وهذا بإشعال النار على رأس تلك القمة، ومنه يكون الشق الثاني للاسم والذي هو" ايكادة" والذي تباينت التحاليل بشأنه، إلا أن هذا التباين لم يكن ليتجاوز احد المعنيين، النار أو المنارة[18]، وفي كلتا الحالتين فان ذلك لا يغير في جوهر المعنى شيئا، فقد كانت النار تستعمل في القديم كمنارة وهو ما يجعل الكلمة تحمل نفس المعنى في الحالات جميعا.

بيد انه تجدر الإشارة إلى أن الفينيقيين لم يطلقوا هذا الاسم سوى على ذلك الجزء من الجبل، في الوقت الذي أطلق فيه المؤرخون الإغريق على البلدة التي نشأت في الفترة البونية مكان المدينة الرومانية لاحقا اسم "**طابســوس**"[19]، إذ أشير إليها في رحلة سكيلاكس Scylax ابتداء من القرن الخامس قبل الميلاد باسم "**طابسا**" على أنها بلدة واقعة في خليج نوميذيا[20]، وكذلك يضعها "بطليموس" Ptolemé بنفس التسمية في هذا الخليج، والغريب أنه يضيف إليه

---

[17] O.Mac Carthy. Les Antiquitées Algerinnes.Alger.1885 ,p 13.

[18] Julle chabassiere et L Bertrand ; Rusicade d'après ses ruines , Extrait du bulletin de l'Accadémie d'hippone n° 31 BONE 1904, p 04.

[9] طابسوس: لفظ ذو أصول سامية وهو يعني بالأخص شجر الحور أو الصفصاف، ويتكون هذا الاسم في اللغة العبرية من تكرار الجذر (تساف) كما أن الأمازيغ يطلقون على هذا النوع من الأشجار (اصغار او اسيف) ويبدو أن الإغريق الذين كانوا يعتمدون في الكثير من أخبارهم على المصادر العبرانية قد نقلوا عنهم هذه التسمية التي أطلقت في البداية على ذلك النهر الذي يجري شرقي المدينة ويمثل علامة فارقة للمنطقة قبل أن ينسحب بعد ذلك على البلدة ككل (يراجع بهذا الخصوص:

Judas. Sur l'identité des mots thapsus et saf saf .in mémoire de la societé des antiquaires de France.pp 190 ,192.

[20] Gsell(St). Atlas Archéologique de l'Algerie. .Alger /Paris.1911. feuille n 08 page 12.

خليجا أخرا هو خليج الأولكاشيت Olkachite[21] ، هذا ويتحدث " فيبيوس سيكواستر" Vibius Sequestre في القرن الرابع للميلاد عن "طابسوس، واد بالقرب من روسيكاد " Thapsus (africae , iuxta rusicadem[22]، وهو الذي يتفق معظم الباحثين على انه "وادي الصفصاف" حاليا ويقع هذا الوادي شرقي جبل سكيكدة.

والظاهر أن المدينة الفينيقية إنما نسبت في تسميتها إليه نظرا للخلط الذي وقع فيه المؤرخون الإغريق أولا، ثم الذين بعدهم من جغرافيي القرون الوسطى والرحالة في تحديد موقع هذا الوادي بدقة، حيث التبس عليهم الأمر بين ذلك النهر الصغير الذي كانت المدينة تتربع على ضفافه ويأخذ مجراه بين جبلي سكيكدة شرقا وبويعلى غربا وبين نهر الصفصاف معتقدين عند عند الحديث عن المدينة أنها تقع على ضفاف هذا الأخير(طابسوس قديما).

لم تصلنا معلومات أوفر حول هذه المدينة الفينيقية سوى ما سبقت الإشارة إليه وبعض بقايا أثرية يعد أهمها تلك المقبرة التي وجدت إلى شمال خزانات المياه أسفل جبل سطورة، وهي المقبرة التي سنتحدث عنها لاحقا، وبعض القطع الأثرية متمثلة في رأس ادمي من الحجر الرملي وتاج ايوني ونصب صغير[23]وكذلك ثمانية رؤوس حيوانية (أسد)، من البرونز عثر عليها رفقة تابوت داخل مدفن يتكون من سلسلة غرف وجدت شمالا من مبنى المستشفى العسكري (المركزي اليوم)، بالاضافة إلى مجموعة من الأثاث الجنائزي[24].

لكن يبدو من خلال دراسة المصادر أنها كانت عبارة عن محطة هامة أنشاها الفنيقيون بغرض الاتجار مع القبائل المنتشرة هناك، كما أنها تطورت فيما بعد في إطار ما يعرف بالمدن الميتاغونية[25]، لتأخذ بعدا استراتيجيا في فترة حكم ماسينيسا الذي قام باستغلال مينائها لنقل

---

[21] يشكل هذا الخليج بحسب هذا المؤرخ جزءا من الخليج النوميدي ويمتد من رأس فلفة غربا إلى غاية رأس الحديد شرقا (يراجع : Pellisssier (E).op. cit. P 365.)

[22]Gsell (St). Ibid. feuille n 08 page 12 .
[23] Gsel(St). musées de l'Algerie et de la Tunisie. Paris. 1898. p 44.
[24]Gsel(St).Fouille de gouraya ,Paris 1903, p 47 .

[25] المدن الميتاغونية (Métagonion) كلمة إغريقية تعني الذي يأتي بعد المثلث ومعناه أن الإغريق كانوا يعتقدون أن بلاد اللبيين تأخذ شكل المثلث يمثل ضلعيه وادي النيل والبحر الأبيض المتوسط والضلع الثالث يأخذ شكلا محدبا، وعندما اكتشفوا أعمدة هرقل (جبل طارق) صاروا يطلقون على المنطقة الممتدة منه إلى بلاد الليبيين الأراضي الميتاغونية أي التي بعد المثلث وقد استعمل حنيبعل هذه التسمية وأطلقها على الجهات الواقعة غرب قرطاجة كما أطلقها بعض المؤرخون القدامى على

الحبوب من منطقة نوميديا إلى روما بعد أن أصبح حليفها الأوثق غداة التحولات التي عرفتها المنطقة.

وكان من بين نتائج هذه التحولات ميلاد ما عرف في التاريخ القديم بالكونفدرالية السيرتية أو كونفدرالية المستعمرات الأربع مع نهاية القرن الأول قبل الميلاد وذلك بعد انتصار يوليوس قيصر على خصومه، ونتيجة لذلك قام بمكافأة معاونيه في الحرب، حيث كان الجزء الشمالي الغربي من مملكة نوميذيا من نصيب مرتزقة سيتيوس Sitius، الذين اتخذوا من سيرتا عاصمة لتلك الكونفدرالية، والتي تضم بالإضافة إلى سيرتا كلا من: روسيكاد، شولو Chulu، وميلاو Milev.

ويبدو أن قيصر الذي تميز ببعد النظر قد قام بتلك الخطوة احترازا مما يمكن أن يخبئه مزاج حلفائه المغاربة المتقلب من مفاجآت محتملة، فخطوة كهذه تعد عملا وقائيا لحماية قواعد روما في إفريقيا القديمة، كما يمكن أيضا أن يكون قد عمد إلى ذلك بغية استغلال أولئك المرتزقة الذين عرفوا بشراستهم في تمهيد تلك المنطقة الجبلية المستعصية المسالك لمستقبلها الروماني[26].

و مهما يكن من أمر فان "بلين" Pline و"صالوست" Saluste متفقان على أن نشأة روسيكاد كان سنة 45 ق م[27]، وكذلك يعتقد ستيفان غزال أنها تعود في نشأتها إلى العهد الجمهوري وأنها ربما من إنشاء مرتزقة "سيتيوس"[28].

ويعد فهرس "بوتنغر" table de peutinger الوحيد من بين المصادر القديمة الذي يمنحها لقب المستعمرة[29]، وقد أشار إليها بلين ضمن القلاع الحصينة(Oppida) [30]، و بومبنيوس ملا Pomponius méla ضمن "المدن الواقعة في إفريقيا حيث هيبوريجيوس ، روسيكاد،

المناطق من قرطاجة حتى جبل بوقارون (tritum promontarium) لكن هذا الاسم اختفى مع نهاية قرطاجة ليحل محله اسم نوميذيا يراجع: Tauxier Henri Itinéraire de Rusicade à Hippone in .Bull de L'acad d'Hippone n°08 (1869) page 34- 39

[26] د. محمد البشير شنيتي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985 ص 66.

[27] Julle Chabassiere et L Bertand.op.cit. p 4 .

[28] Gsell (st) les inscriptions latines de l'algerie . Paris. 1957 .Tome II. p 1.

[29] Anonyme. Recueil des itinéraires anciens : comprenant l'Itinéraire d'Antonin, la Table de Peutinger et un choix de périples grecs. Paris1845.p 292.

[30] Ajasson De grandsagne , Histoire naturelle de Pline , Paris, 1829 . page 45 (Oppida : C\hullu ;Rusicade et ab eo ad quadraginta octo M pas suum in mediteraneo cirta).

طابراقا"[31] وكذلك بالنسبة لرحلة "انطونينوس" Itinéraire d'Antonin التي تضع روسيكاد ما بين شولو وبارسيانيس Partianis[32]، هذا وتفيد المصادر القديمة أن وجود المدينة استمر إلى غاية القرن الخامس، أي العام 484م أين لم يحضر عن هذه المدينة ممثلون في المجمع الكنسي الذي انعقد بقرطاجة بدعوة من "هنريك" Henric خليفة "جنسريك" Gensric، إذ يبدو أنها قد تعرضت إلى أعمال تخريب كبيرة اثر الاجتياح الوندالي لها سنة 428م[33].

لكن وإذا ما صحت المعلومة التي أوردها" فناك "فان هناك مجمعا كنسيا انعقد في العام الموالي أي 485م بقرطاجة بدعوة من نفس الشخصية وحضره ممثل عن روسيكاد يدعى دوناتوس Donatus Russicadensis [34]، وهو ما يعني أن وجود المدينة قد استمر رغم ذلك إلى غاية الحملة التي شنها بليزار Bélisaire على الوندال في شمال إفريقيا سنة 533م وأفضت إلى دحر هؤلاء والقضاء عليهم في جبال الايدوغ .

و الحاصل من كل هذا أن الوندال قد ألفوا عند استيلائهم على المدن الرومانية لحياة التمدن والرفاهية، ولذلك فقد قاموا بالاحتفاظ بما بقي منها قائما بعد غزوهم إياها بالنار والحديد كما تصف المصادر القديمة، وذلك طيلة الأعوام التي ظلوا فيها أسيادا على المنطقة، لكنهم في نهاية الأمر وعندما كانوا يشاهدون انهيار مملكتهم تلك على يد الجيوش البيزنطية حملوا على تلك المدن حملة أخيرة تركتها صلدا.

و رغم أن "بروكوب" Procope الذي يؤرخ لتلك الفترة لم يشر إلى هذه المدينة كما أن "فيبيوس سيكوستر" Vibius Sequeste الذي يفترض انه عاش خلال القرن الرابع للميلاد لا يتحدث سوى عن وادي طابسوس القريب من روسيكاد إلا أن "بول اوروز" Paul Orose في بداية القرن الخامس عند زيارته لإفريقيا وعندما أراد أن يعرف نوميذيا يقول " البلاد التي توجد فيها مدينتي هيبون وروسيكاد" ثم أعاد كل من "ايتثكوس" Aethecus في منتصف القرن الخامس و"ايزيدور" Isidore في القرن السابع نفس العبارة إلا أن الأخير أعطى لروسيكاد اسم (susicade)[35].

---

[31] Nisard .op. cit.livre 1 chap VII page 107 (Regio ,quae sequitur a promontorio ad aras philaenrum proprie nomen africae usurpat in ea sunt oppida hippo-regius ,et rusicade ,et thabraca).

[32] De Fortia d'Urban , Recueil des itinéraires anciens, Paris,1845, pp 4-5 .

[33] Fournel Henry ; Richesse minérale de l'Algerie , Paris, 1850, page 128 .

[34] Fenech. Op. cit. p 19.

[35] Fournel, Op. cit. p 128 .

ويبدو أن المنطقة عموما التي عرفت اثر الحرب البيزنطية أحداثا مأسوية قضى فيها كما يذكر بروكوب أكثر من خمسة ملايين شخصا بحيث يمكننا " أن نسافر في إفريقيا عدة أيام دون أن نجد شخصا واحدا"[36]. قد دخلت في غيبوبة لم تفق منها روسيكاد إلا لماما خلال الفترة العثمانية، عندما قامت سلطات البايلك ببناء بعض المنشات البسيطة الموجهة بالأساس للتعامل مع الأجانب الذين يشتغلون بالتجارة هناك، وكذا الشركات التي كانت تنشط في استغلال ثروات المنطقة على نحو ما يذكره جون ليون الإفريقي أو حسن الوزان، الوحيد من بين الرحالة وجغرافيي القرون الوسطى الذي يصف المدينة وصفا يقارب الواقع[37]: " سكيكدة مدينة أزلية بناها الرومان على ساحل البحر، بعيدة عن قسنطينة بنحو خمسة وثلاثين ميلا [38]، خربها القوط في الزمن الغابر، إلا أن أمير قسنطينة نظرا لمينائها الجيد أمر ببناء منازل ومخازن للجنويين الذين كانوا يتجرون في البلاد بل انشأ أيضا قرية في أعلى جبل مجاور يقيم بها حارسا على الدوام للإخبار بالسفن المتجهة إلى الميناء "[39].

في الوقت الذي كان فيه سابقيه يشيرون إليها إشارة ضبابية وأحيانا بعيدة جدا عن الواقع[40] فالإدريسي في القرن الثاني عشر لا يتحدث إلا عن " مرس استورة " بين القل وبونة، أما ابن خلدون في غضون القرن الرابع عشر فيـطلق عليها اســـــم" سكيكدة "[41]ويكتب مارمول Marmole في القرن السادس عشر نقلا عن ليون الإفريقي "سطورة مدينة قديمة على بعد أربعة عشر عقدة من مدينة القل باتجاه الشرق "[42]، بينما بايسونل payssonel يذهب إلى حد قوله بان "سطورة هي روسيكاد القديمة"[43]، وكذلك يستمر الخلط بين الرحالة العرب

---

[36] Fenech , ibid, p 20.

[37] وهو ما يتضح من خلال وصف الكاتب الذي يبدو لدقته انه أقام بالمنطقة وطاف بأرجائها و سنلاحظ ذلك بشكل لافت عند وصفه للطريق الروماني القديم الذي يصل روسيكاد بسيرتا .

[38] الصحيح انها تبعد بـــ 48 ميلا.

[39] الحسن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر الجزء الثاني الطبعة الثانية، دار المغرب الإسلامي ص 54_55 .

[40] إن صحت مقولة التاريخ يعيد نفسه فإنها تصح هنا، فقدر هذه المدينة يتكرر بشكل يكاد يكون مماثل، فقد كانت وضعية المدينة خلال العهد العثماني شبيهة إلى حد بعيد بوضعيتها خلال الفترة البونية، وكما أعقب هذه الأخيرة الاحتلال الروماني واحدث بها ثورة عمرانية كذلك أعقب الاحتلال الفرنسي العثمانيين وبعث بعدها المدينة الرومانية من جديد .

[41] Gsell (St).AAA .F 8 . p 13.

[42] Marmol y, Luis del. L'Afrique de Marmol de la traduction de Nicolas Perrot, sieur d'Ablancourt.[Pierre Richelet]. 1667.p 433.

[43] Vars (Ch).. Rusicade et Stora dans l'antiquitée , Alger, 1896. pp 6 , 7.

والأوروبيين على حد سواء فيم يخص هذه المدينة، إلى غاية 1832م أين يضع بيرار Bérard حدا فاصلا لكل ذلك بقوله " أثار روسيكاد، المدينة الرومانية القديمة والتي يفترض أن لها علاقات وطيدة بقسنطينة كأقرب ميناء لهذه العاصمة "[44].

ومن المفارقات هنا هو كيف حل فجأة اسم مغمور في الفترة القديمة ولم يرد إطلاقا ذكره في أي من النصوص اللاتينية، ليأخذ مكان اسم روسيكاد الذائع الصيت، إلى درجة أصبحت المنطقة كلها تعرف باسم سطورة، هذا الاسم الذي تعود جذوره إلى اللغة الفينيقية، وكثير من الباحثين ينسبونه إلى الإلهة الحامية للمدن الفينيقية عشتار، والتي تطابق الإلهتين: افروديت الإغريقية وفينوس الرومانية، وهو أمر يعتقد بعضهم كان سببا وراء وضع مدينة روسيكاد تحت حماية ورعاية الإلهة فينوس من طرف الرومان نتيجة هذا التطابق[45]، و يرد اسم الإلهة الفنيقية في اللغات اللاتينية على شكل Astoreth أو Astarté والتي يحتمل أن اسمها أطلق على ميناء سطورة من طرف الفينيقيين في فترة توسعاتهم في حوض البحر الأبيض المتوسط، أو أن اسم هذه الإلهة كان ملحقا باسم يفترض انه اسم الميناء إلا انه ضاع بعد ذلك ولم يبق إلا اسم الإلهة التي تحرسه[46].

و الاحتمال الأقرب للتحليل المنطقي على الأقل، أن هذا الاسم إذ صمد واستمر في الوجود على حساب اسم اكبر هو روسيكاد، فإنما كان ذلك بسبب بقاء الميناء مستعملا رغم خراب روسيكاد التي تبعد بأربع كيلومترات عن الميناء، والتي كان يشكل معها قديما وإلى اليوم مدينة واحدة، ومع بقاء هذا الاسم حيا فيما بقي من الذاكرة المحلية فان الرحالة والجغرفيين الذين يقومون في الغالب بجولاتهم على متن السفن، كانوا يتوقفون بهذا الميناء ويستقون الأخبار من هناك.

على أن اسم روسيكاد لم يختف تماما، وقد عرف نفس مصيره عندما تحول من "روس ايكادة" الفنيقي على يد الرومان إلى روسيكاد، لكنه هذه المرة على يد مزيج من الثقافة الأمازيغية المعربة ليتحول من روسيكاد إلى رأس سكيكدة، عبر العديد من المراحل التي يوردها رحالة القرون الوسطى تحت عدة تسميات مختلفة، منها "مرسى سيقدة " يقول البكري

---

[44] Fornel. Op. cit. p 129.
[45] Vars. Op. cit. p 7 .
[46] Judas. Op. cit. pp 191 ,192.

ويجعل بينها وبين قسنطينة مسيرة يوم"[47] بينما يسميها شاو shaw سجيكاطا sgigata[48] و يتبعه في ذلك اونفيل Anvile ويجعل منها، سجيكادا sgigada، وقد سماها مارمول Marmol قبل ذلك نقلا عن ليون الإفريقي سكيكدة sucaycada، وكلها كما يتضح ما هي في النهاية إلا تحويرات طرأت على التسمية القديمة، ولا تزال المدينة تحتفظ باسمها المعرب إلى اليوم رغم أنها حملت طيلة فترة الاحتلال الفرنسي اسم احد ملوكهم "لويس فيليب " louis Philippe أي "فليب فيل"[49]Philippeville، إلا أن رنين هذا الاسم الفخم لم يمكنه الصمود أمام قوة الذاكرة المحلية التي أبت إلا أن يظل اسمها مرتبط بأعمق ما يمكن من الجذور التاريخية.

---

[47] ابو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الاسلامي القاهرة، ص63.

[48] Dr Shaw. Voyge dans la Regence D'Alger. Paris 1830. P 336.

[49]كان ذلك بموافقة الملك فيليب بناء على اقتراح من وزارة الحرب في شهر نوفمبر عام 1838 م يراجع: Bertrand . op. cit. p 3.

تاريخ الأبحاث :

يمكن القول أن تاريخ الأبحاث الأثرية بالمدينة كان يسير في خط متواز مع بناء المدينة الجديدة، هذه الأخيرة التي قامت فوق أنقاض المدينة القديمة تماما، وكان ذلك كما ذكر في السابق قد تم بأمر من المارشال "فالي"، الذي رأى انه يتوجب، لإعادة إحياء مجد المدينة الرومانية، القيام ببعث مدينة جديدة على أنقاضها وذلك وفق ظروفها الخاصة ومميزاتها العصرية، وهكذا، فان فرق الهندسة العسكرية أولا ثم إدارة الأشغال العمومية لاحقا، عملت على استغلال المنشات الرومانية سواء كأساسات لمباني جديدة على غرار مثلا لا الحصر المسرح الجهوي حاليا والذي بني فوق أساسات خزانات مائية خلفا لمعبد فينوس، أو بترميم بعض المعالم كما حدث ذلك مع الخزانات المائية بكل من منطقة بويعلى وسطورة وإعادة استعمالها مجددا، أو بقلعها ومحوها تماما كما حدث للمدرج، وقد واكب بعض الضباط العسكريين والهواة وصف ما كان يحدث على الأرض من أشغال، وهو الأمر الذي مكن من الاحتفاظ ببعض ذكرى المدينة الرومانية، ولو أن ذلك لم يكن كافيا، سواء بسبب سرعة الأشغال التي استمرت بشكل متواصل إلى درجة أن البعض قد اندهش لتلك السرعة الفائقة التي تم بموجبها بناء مدينة فيليب فيل، بحيث أن معاول الهندسة العسكرية ثم إدارة الأشغال العمومية فيما بعد لم تكفا يوما عن استخراج بأبسط عمليات الحفر تحفا نادرة من باطن الأرض[50]، إلى درجة يقول احدهم بأنه لو قدر لهذه اللقى أن توضع على مستوى الطريق الوطني أي الرئيسي للمدينة لملأته عن أخره[51]، أو بسبب الحجم الهائل من الردوم التي كانت تغطي المعالم القديمة إذ يذكر مثلا في هذا الجانب أن المسرح الروماني استغرق عدة سنوات قبل التمكن من إزالة الأتربة التي كانت تغطيه كما سنرى لاحقا، كما أن العديد من المعالم كانت في حالة جد متقدمة من التدهور ما أدى إلى عدم إمكانية التعرف عليها أو تقديم وصف شامل لها.

---

[50] وهو ما يؤكده فناك أولا بقوله " كنا نجد عند كل خطوة، تيجانا وأعمدة رخامية غاية في الإتقان، قواعد تماثيل وتماثيل رائعة ..." المرجع السابق، ص 13، ثم من بعده فورنال الذي يروي انه كان حاضرا بشخصه في غضون سنة 1844عندما تم العثور أثناء القيام بأشغال تبليط احد الطرق بالمدينة وعلى عمق بسيط من السطح على تمثالين كبيرين في حالة جيدة من الحفظ وكذلك يقول "شاهدت فسيفساء رائعة في حديقة أمام احد المنازل قبالة البحر" (Fornel. Op. cit. p126.).

[51] Gsel (st). Op. cit ; 1898. P 11.

هذا وتوجد مختلف الكتابات المتعلقة بهذا الجانب في الدوريات والمجلات والحوليات التي كانت تنشر سنويا على عدة مستويات والتي من أهمها :

Recueil de la societé archéologique de constatine (RSAC).[52]

Bulletin archéologique du comité des traveaux historiques et scientifiques.(BCTH)

Bulletin de l'académie d'hippone. (Bull. Acad. Hippone)

Mémoires des antiquaires de France.(Mem. Ant. France)

Revue africaine.(RA)

Lybica.

ويعد فناك E.V.Fenech أول من تعرض لتاريخ المدينة مفردا لها كتابا متوسط الحجم، خصصه للحديث عن مختلف الظروف المحيطة بنشأة المدينة، بالإضافة لحديثه عن الآثار التي تسنى اكتشافها في البدايات الأولى من الاحتلال، وقد شكلت شهاداته الحية على تلك الفترة[53] مرجعا رئيسا لكل الذين جاؤوا من بعده وخاضوا في تاريخ روسيكاد، وقد حظي هذا الكتاب بإشادة وتقدير الجميع، من ذلك ما كتبه ادوارد صولال قائلا بعد التعريف بالكاتب الذي كان يشغل منصب مستشار بلدي وأمين الغرفة التجارية ببلدية فيليب فيل انه: " المؤرخ المحلي الوحيد الذي حمل الإضافة الفعلية والإسهام الجدير بالاحترام لتاريخ منطقة فيليب فيل، فمؤلفه والذي للأسف لا يتناول سوى سنوات 1838م_1844م يعتبر دراسة جيدة وفي ذات الوقت شهادة قيمة لمعاصر للأحداث التي قام بوصفها "[54].

أما شارل فيرو فيقول بشأنه " لو لم يأخذ الموت هذا الكاتب لما ترك لنا شيئا لنقوله عن تاريخ فيليب فيل "[55].

---

[52] تعد من انجح الدوريات وقد ظهر أول أعدادها سنة 1853.

[53] وهو ما عبر عنه المؤلف في توطئة الكتاب بقوله "...ووثائقي هي شهادتي نفسها على أحداث، أعمال، فترات، تطورات تعاقبت منذ اليوم الأول (للاحتلال)".

[54] Edouard solal. Op.cit. p 277.

[55] Feraud (Ch).Documents pour servir à l'histoire de philippeville, IN *Rev. af* XIX, 1875, p 51.

كما كان للجان التي أنشئت ضمن المؤسسة العسكرية الفرنسية[56]، والتي أسندت لها مهام استكشافية للإيالة الجزائرية، دور حاسم في وضع قاعدة معلومات شاملة لكل المقومات الطبيعية والاجتماعية والتاريخية للبلاد وتركيباتها الإثنية وإعداد خرائط جغرافية وطبوغرافية وجيولوجية وغيرها من المجالات العلمية، ويدخل في هذا الإطار ما قام به كل من الرائد أدولف دولمار Adolphe De Lamare وامابل رافوازي Amable Ravoisier[57] والذين قاما برفع مخططات عن مختلف المعالم القديمة بالجزائر ورسم لوحات تمثل حالة هذه المعالم في تلك الفترة المبكرة من الاحتلال، وكذلك نجد صورة المدينة الرومانية روسيكاد وهي في حالتها البكر غداة الاحتلال الفرنسي، حيث تبدو كما يعبرعنها غزال "كما لو أنها صحراء "[58] وذلك بسبب تعرض هذه المدينة بعد الاجتياح الوندالي لها وتخريبهم إياها وترك مختلف بقاياها مبعثرة في الأرجاء إلى كساء من ترسبات القرون التي ظلت فيها روسيكاد تغط في سبات عميق .

هذا وتعد لوحات هذين الضابطين تحفا ومعالما في حد ذاتها، نظرا لزوال مختلف التحف والمعالم التي قاما برفع مخططاتها ورسم أشكالها من على وجه الأرض، واختفائها إلى الأبد جراء التخريب أو الثورة العمرانية التي طالتها .

و ربما عيب تلك اللوحات الوحيد، هو عدم وجود نصوص تشرح لنا ماهية تلك الرسومات والمخططات، وهو ما استدركه ستيفان غزال فيما بعد بحيث قام بالاعتماد عل النسخة الأصلية الموجودة بمتحف اللوفر والتي ضمنها دولمار بعض ملاحظاته، بشرح لوحات هذا الأخير في كتاب ابقي فيه على نفس العنوان مع إضافته لكلمتي النصوص الشارحة.

كما قام دولمار نفسه بشرح بعض الرسومات في دراسة خصصها لأثار منطقة سطورة نشرها سنة 1859 بمجلة *Mém Ant de France* ، وهي دراسة قيمة عرض فيها قبل ذلك إلى نبذة من تاريخ روسيكاد، قبل أن يعرج بالوصف الدقيق على مختلف المعالم والبقايا الأثرية التي وجدت في بداية الاحتلال بسطورة.

---

[56]كان من بين أهداف هذه اللجان كما يتضح من خلال القرار الممضى من طرف الجنرال دامريمون (Dameremont) والقاضي بإنشاء لجنة علمية ضمن فرق الاستطلاع سنة 1837 اثر سقوط قسنطينة بيد الاحتلال " إنشاء لجنة ضمن الفرق الاستطلاعية مهمتها الاستكشاف لصالح العلم والفن البلاد التي عبرها العسكر، وجمع المخطوطات والنقوش والتحف الفنية والقديمة التي يمكن اكتشافها " يراجع: -Paul-Albert Fevrier. Approches du Maghreb romain Edisud la calade 13090 Aix-en-provence .page 31.

[57] كان عملهما في إطار لجنة أنشئت سنة 1839 .

[58] Gsell (St), Les monuments antiques de l'Algerie, Paris 1901, Tome I, P 108 .

بينما قام رافوازي بكتابة نصوص مصاحبة للوحاته إلا انه توقف في وسط الكتاب لأسباب مجهولة وتعد لوحاته ومخططاته أكثر دقة وجمالية من سابقه .

وفي جميع الأحوال فان أعمال هذين الباحثين من اجل ما أمكن تقديمه لعلم الآثار بالجزائر فلوحاتهما تعد مدن ومعالم وتحف قديمة لم تعد الآن موجودة[59].

ويعد من بين الأعمال الجليلة التي قام بها الفرنسيون خدمة للآثار بالجزائر – نقول هذا و نحن ندرك يقينا أنما ذلك كان بدافع الحرص الاستعماري على استغلال البحث العلمي وتوجيهه من اجل طمس معالم الهوية الجزائرية وتثبيت معالم جديدة تدعم السلوك الاستعماري وتمنحه الشرعية[60] – ما قام به ستيفان غزال بأمر من قيادة أركان الجيش الاستعماري وتوفيرهم له يد المساعدة بغرض إعداد أطلس اثري عن الجزائر، وهو ما قام به فعلا وبنجاح، فقد شكل هذا المرجع قاعدة انطلاق لكل بحث يطال الجانب الأثري بالجزائر، ورغم أن الكاتب لم يقم بزيارة أغلب المواقع الأثرية التي وردت في الأطلس، واعتماده على مختلف النصوص التي كانت تنشر هنا وهناك في الدوريات والمجلات الأثرية وهو ما يعترف به الكاتب نفسه، إلا أن ذلك لا يلغي علو شان هذا المرجع وقيمته العلمية.

و قد تناول قزال، فليب فيل في الورقة رقم 08 ليغطي معظم أجزائها بنفس الحدود الإدارية الحالية تقريبا، لتشمل غربا مدينة القل وشرقا بعض مناطق عزابة وصولا حتى بعض المناطق الشمالية من ولاية قالمة جنوبا، أما بقية الأجزاء الشرقية التي تتبع إقليميا اليوم ولاية سكيكدة ولا توافق الورقة رقم 08 بحسب تقسيم غزال فقد جاءت في ورقة بون Bone أي رقم 09. (الشكل 04)

كما قام بإعداد مخطط للمدينة حاول من خلاله توزيع اللقى و المعالم الأثرية لروسيكاد.

---

[59] وهو ما حدث على سبيل المثال للمدرج (السيرك) الذي قام أفراد الهندسة العسكرية بقلعه سنة 1944 حتى أساساته لاستغلال حجارته في بناء سور المدينة .

[60] ما يؤكد هذا الطرح هو هذه الرسالة التي بعث بها المارشال سول (Soult) إلى الأمين العام لأكاديمية النقوش والآداب يقول له فيها "احتلال الإيالة الجزائرية من طرف الفرق العسكرية لا يجب أن يبقى بدون فائدة بالنسبة للعلم، من جهته أيضا فان العلم بدوره بالإمكان أن يساهم في هذا العمل الحضاري الذي بدأ على ارض إفريقيا تحت حماية قواتنا. راجع: Paul-Albert Fevrier. ibid. page 30.

ويضاف لإسهامات ستيفان غزال الكثيرة فيما يتعلق بالتراث الأثري لمدينة روسيكاد، العمل الذي قام به بمعية لويس برتران، عندما قاما بإعداد كاتالوج لمتحف فيليب فيل شرحا فيه المجموعات المتحفية التي كانت موضوعة على مستوى المسرح الروماني أولا، قبل أن ينشا لها سنة 1898م متحفا لازال السكان يحتفظون باسمه إلى اليوم رغم أن هذا المتحف كان قد هدم سنة 1959م بغية بناء مكانه عمارة النخيل، وكان يضم عدة أجنحة، كان يضم فيها جناح علم الآثار لوحده 1500 قطعة أثرية بعثرت فيما بعد في مختلف أنحاء المدينة بعد تهديم المتحف.

وتكمن أهمية هذا الكاتالوج المصور في قيمة الشرح العميق لتلك المجموعة المتحفية وما نتج عنها من تحاليل تاريخية ساعدت على فهم أكثر لتاريخ المدينة، كما تعد الصور التي تضمنها تحفا في حد ذاتها بسبب ضياع بعضها وتشوه البعض الأخر.

إلى جانب كل هذا فقد كان لهذا العالم الذي سبق وان عاين أثار المدينة عدة إسهامات أخرى في التعريف بكنوزها الأثرية عبر العديد من المؤلفات من بينها "معالم الجزائر القديمة" Les monuments antiques de l'Algerie و الكتابات اللاتينية في الجزائر Les Inscriptions latines de l'Algerie, tome 2 هذا الأخير الذي يضم عن دائرة فيليب فيل وحدها كثيرا من الكتابات التي يمكن جني الكثير من المعلومات عن تاريخ مدينة روسيكاد من خلال دراستها وتحليلها.

لكن وقبل ذلك كله، فان ما أنجزه شارل فار Charles Vars يعد على صعيد التأليف من أهم ما كتب عن روسيكاد الرومانية، إذ أن هذا الباحث الذي يبدو انه استفاد الكثير من خلال تأليفه لمونوغرافيا أثرية وتاريخية من خلال الحفريات والنقوش اللاتينية عن قسنطينة تحت عنوان Cirta ses monuments son administration et ses magistrats سنة 1895م قد سهل عليه أمر إعداد عمل مماثل بالنسبة لروسيكاد في العام الموالي أي سنة 1896م، والذي حمل عنوان Rusicade et Stora ou Philippeville dans l'antiquité ويبدو أن الكاتب كان استفاد أيضا من موقعه كنائب لرئيس جمعية الآثار بمقاطعة قسنطينة للحصول على مثل ذلك الكم الهائل من المعلومات والمادة الأثريتين اللتين ضمنهما كتابيه، ولو انه يعترف هنا بان المساعدة التي قدمها له لويس برتران و إلحاح هذا الأخير عليه من اجل إعداد هذا العمل كان له الوقع الحاسم في نجاح هذا الكتاب، كما تمكن الكاتب بفضل خياله الخصب من وضع

تصور لما يمكن أنها كانت عليه روسيكاد وسطورة في الفترة القديمة، وذلك بتوظيفه لشخصية افتراضية خلال ازهي فترات روسيكاد، تقوم بجولة سياحية بين مرافقها الفاخرة، وهو تصور يتفق مع ما قام به جول شابسيار Jules Chabassiére الذي أعد دراسة علمية بمعية السيد لويس برترانLouis Bertrand عن روسيكاد من خلال أثارها Rusicade d'après ses ruines في محاولة لتحديد ملامح المدينة الرومانية وفيزيونوميتها وهي الدراسة التي قاما بنشـــــــــرها سنة 1904 بمجلة Bulletin de l'Académie d'Hippone n°31.

وهي دراسة قيمة رغم حجمها المتواضع نظرا لاتسامها بالمنهج العلمي البحت، ولما تتوفر عليه من معلومات دقيقة، حيث قام الكاتب بإعداد خارطتين لمدينة فيليب فيل وسطورة وزع عليهما باستخدام الحروف والأرقام المعالم والمرافق العمومية، في محاولة للحصول على توزيع عمراني للمدينة الرومانية.(الشكل 45)

وكان من بين الشخصيات التي تركت بصماتها على التراث الأثري للمدينة، المهندس جوزيف روجي Josephe Roger الذي شغل منصب محافظ المتحف الأثري لفيليب فيل عندما كان هذا الأخير عبارة عن مستودع بني سنة 1859م على مستوى المسرح الروماني، قبل أن ينهار اثر انزلاق ارضي وتوضع قطعه الثمينة في الطابق الأرضي لمبنى البلدية، وهو ما أدى إلى ضياع البعض منها وتلف البعض الأخر، وهو ما يشير إليه غزال و برتران في الكاتالوج المشار إليه سابقا والذي كان روجي قد سبقهما إلى إعداد عمل مماثل، غير انه لم يتمكن من إتمامه لأسباب مجهولة، و يتكون هذا الكاتالوج من64 صفحة، مضافا إلى ذلك أن الفضل يعود لهذا المهندس الذي حل سنة 1856م بالمدينة، في إزالة أجزاء هامة من الردوم التي كانت تغطي المسرح ابتداء من سنة 1859م إلى 1861م بعد قرار السلطات البلدية إقامة بعض البنايات جانب الحائط الخارجي للمسرح، وقد نشر المهندس نتائج أعماله هذه بالمجلة الإفريقية عدد 09 لسنة 1865م.

كما يعود له الفضل أيضا في جمع الكثير من القطع الأثرية المكتشفة على مستوى المدينة وضواحيها بالإضافة لإسهامات أخرى نشرت بـــ مجلة جمعية الآثار لمقاطعة قسنطينة.

وقد خلف المهندس روجي كمحافظ للمتحف السيد لويس برتران الذي لا نكاد نجد بحثا أو حفرية أو نشاط اثري بالمدينة إلا ويكون فيه كالظل، فقد كان أكثر شخص معرفة بآثار

روسيكاد، حيث عمل فيها بحماس بالغ من اجل حماية أثارها والمشاركة في العديد من الحفريات الإنقاذية التي تمت سواء بطلب من الملاك الذين كانوا يعثرون أثناء قيامهم بأشغال البناء في ملكياتهم على مواد أثرية كما حدث ذلك مع السيد لزيور Lesieure، حيث أفضت نتائج هذه الحفرية بوضع تحت الضوء ضريحا يعود إلى الفترة الرومانية، أو عن طريق المصادفة اثر حدوث انزلاقات أرضية على غرار ما حدث بمنطقة سطورة وكلل باكتشاف المقبرة البونية هناك.

و بالإضافة إلى مساهماته إلى جانب ستيفان قزال وغيره في الإعداد لمؤلفات تخص أثار المدينة فقد قام بنفسه و بمساعدة ابنه فرونسوا برتران François Bertrand بإعداد كاتالوج خاص بمتحف فيليب فيل الأثري.

هذا وقد قام لويس برتران وعلى غير المتوقع بكتابة مؤلف عن تاريخ مدينة فليب فيل، لكنه افرده للحديث عن التاريخ الكولونيالي لدائرة هذه الأخيرة، وليس للحديث عن أثارها القديمة وربما نجد له العذر في ذلك لكثرة كتاباته عن أثار المدينة بالمجلات والدوريات التي سبق ذكرها، و إسهاماته المتعددة و مشاركاته مع مجموع الباحثين في مختلف أعمالهم كما رأيناه سابقا.

ومن الأعمال المميزة أيضا، ما قام به ادوارد صولال Edouard solal والذي لا يتناول بشكل مباشر أثار المدينة، إلا أن التفاصيل الدقيقة التي يتناولها عن مراحل احتلال المدينة والقرارات الحاسمة التي صنعت مصيرها، والتطورات التي عرفتها في البدايات الأولى للاحتلال حتى سنة 1870م تعد رسما بيانيا لمراحل، ليس لميلاد المدينة الجديدة، ولكن، لوفاة المدينة الرومانية.

كل ذلك من دون أن نغفل الدور الايجابي لبعض ضباط الجيش الفرنسي مهندسين وأطباء وغير ذلك، والذين كان اغلبهم أعضاء بجمعية الآثار بقسنطينة، حيث قدموا مساهماتهم سواء بتسجيل ملاحظاتهم لما كان يحدث على الأرض، أو بدراسات مفصلة مثل ما فعله الرائد رئيس فرقة الهندسة العسكرية دومارسيي De Marceilly الذي اعد دراسة قيمة جدا عن أثار دائرة فيليب فيل نشرها بمجلة الآثار لمقاطعة قسنطينة عدد 1853م.

و الحقيقة انه و رغم كل هذا ورغم أن الكثير من ذكرى المدينة القديمة قد تسنى له الوصول إلينا، إلا أن ذلك لا يعد كافيا أمام ما لحق المدينة من خراب، أمام هذا الجشع الكولونيالي حتى

لا نقول شيئا أخرا، والذي هوى بمعاوله بدون رحمة ليقضي في لحظات على معالم ظلت صامدة لقرون طويلة، أمام هذا الضمير الميت الذي يقتلع ببرودة مبنى كاملا حتى جذوره كان ليصبح اليوم ربما مدرسة بمفرده في الهندسة المعمارية القديمة، ولم يكن حظ المسرح الروماني سعيدا رغم نجاته بسبب الردوم التي عملت على حمايته، لان يد الجلاد لم تشأ أن تمضي دون أن تأخذ أجزاءه الأمامية (الخشبة)، ولم يسلم من أثار المدينة الرومانية إلا خزانات المياه على منحدر جبل بويعلى وسطورة، والتي فرضت الضرورة أن يتم ترميمهما واستعمالهما في منظومة المياه الاستعمارية.

لقد كان تطور المدينة الجديدة سريعا جدا، ففي غضون سنوات بسيطة غطى العمران كامل الموقع الذي احتلته المدينة القديمة، إلى درجة أنها لم تمهل حتى من أراد أن يصف أكثر المعالم التي كانت بعد قائمة وقتها، فمن سنة 1838م إلى غاية 1869م كانت ملامح المدينة الجديدة قد تحددت نهائيا. (الشكل 09)

وكذلك توقفت الآثار التي كانت تنبعث يوميا من باطن الأرض بأدنى عملية الحفر الممكنة كما يشهد على ذلك من عاصر الأحداث، وهذا في حدود سنة 1890م فقد استنفذت تماما ولم تعد قادرة على العطاء لأن المدينة الرومانية ببساطة، قد تلاشت وعفت من على وجه الأرض.

للوصول الى روسيكاد كان الرومان يستعملون الطرق البرية والبحرية على السواء وكان ميناء سطورة هو الميناء الرئيسي للمدينة، إذ بات يشكل رأس جسر يربط نوميذيا الخصبة بشعوب المدن الكبرى بايطاليا على حد قول "فناك" [61]، ولذلك فقد فرض هذا الموقع الاستراتيجي لهذه المستعمرة التي تعول تلك الشعوب بان توليها روما العناية الفائقة من اجل ربطها بشبكة الطرق، وسنرى لاحقا كيف أن طريق سيرتا- روسيكاد عرف ترميمات وإصلاحات مستمرة من اجل استبقاء هذا الشريان الحيوي نابضا، والذي كانت روما ستموت جوعا لو توقف عن ضخ أطنان الأنونة إليها[62].

[61] E .V. Fenech , op.cit ;p 30.

[62] كانت تصب افريقيا سنويا إلى مخازن روما ثلثي(3/2) حاجتها من القمح ثم يأتي بعدها الزيت والدهون وحتى الأخشاب، و قد كان ميناء سطورة الميناء الرئيسي لمقاطعة نوميذيا لنقل هذه الحاجات.

أولا : الميناء و الطرق

الميناء

طريق سطورة- روسيكاد

طريق سيرتا- روسيكاد

طريق روسيكاد- هيبو ريجيوس

الميناء:

لم يكن بالإمكان إقامة ميناء حيث موقع المدينة لكون الشاطيء هناك لا يتوفر على العمق الكافي الذي يمكن السفن من الإرساء ، ولذلك فقد قنع الرومان بأن يتبعوا أسلافهم الفينيقيين وأن يبقوا على ميناء سطورة ميناء رئيسيا لروسيكاد، وهذا لم يتوفر عليه من مقومات تجعل منه موقعا مثاليا لذلك، فهذا الخليج يملك العمق الكافي حتى يسمح للسفن بالإرساء على ضفافه الصخرية، كما باتت تشكل الجبال المحيطة به من الناحية الغربية ذرعا واقيا لحماية السفن من شراسة الرياح الشمالية والشمالية الغربية مما يجعله اقل اضطرابا، وزيادة عليه، فإن الشكل الإهليلجي الذي يتخذه الخليج يكاد أن يكون ميناء حتى في حالته الطبيعية البكر.

لم يتبق لنا من هذا الميناء شيء، فحتى قبل قيام الفرنسيين بأشغال إعادة بناء ميناء جديد كان قد اختفى، ولم تبق إلا بعض الآثار التي تدل على مدى أهميته ونشاطه الكبير خلال الحقبة القديمة، منها تلك المنشات بجواراته القريبة والتي هي عبارة عن مخازن وخزانات مائية، واضح جدا أنها بنيت من أجل تزويد السفن بالبضاعة وبما يحتاج إليه الملاحون من الضرورات الحيوية[63].(الشكل 10)

ولم يستطع دومارسيي De Marceilly أن يقدم لنا شيئا يذكر عندما أراد أن يصف الميناء في ذلك الوقت المبكر من الاحتلال، إذ يقول "غالبا ما بحثت عن ميناء سطورة، لم أجد غير كتل مبنية لا يمكن معرفة شكلها الأصلي فضلا عن معرفة ما إذا كانت تشكل جزءا من المرفأ، أما الكتل الأخرى التي وجدت بالشاطئ تحت الصخر فيبدو أنها للطريق الروماني الملتف من هناك، والآثار الوحيدة التي قد تشكل دليلا على وجود مرفأ (jetée) هي بقايا اسمنت بين فتحات جزيرة القردة وحول كل محيط قاعدتها "[64].

ولا يمكن فهم ما حدث لهذا الميناء، إلا بإيعاز سبب اختفاءه إلى وقع الضربات المستمرة لأمواج البحر التي نظرا لانعدام الصيانة به كل تلك القرون قد فتته وانزوت به إلى الأعماق، وكذلك بسبب الإنزلاقات التي حدثت وتحدث دائما في هذه المنطقة الجبلية المعروفة بانحداراتها الشديدة وبطبيعتها الجيولوجية المتكون أغلبها من الشيست.

---

[63] E .V. Fenech , op.cit ;p 30.

[64] De Marceilly.Notices sur les vestiges de l'occupation romaine dan le cecle de philippeville . in (RSAC)1953. p 23.

هذا ويستنتج من خلال مصادر القرون الوسطى على غرار كل من الإدريسي،البكري وليون الإفريقي ومارمول وغيرهم أن هذا الميناء كان لا يزال في معظمه قائما في تلك الفترة فإشارات بوجود ميناء "مرس استورة "، "مرسى سقدة"، "ميناء سطورة" كلها تفيد ببقاء الميناء مستعملا، وهو ما تؤكده لنا أكثر الدلالة القوية لليون الإفريقي الذي بعد الحديث عن إنشاء قرية بأعلى جبل مجاور يقول "أن حارسا يقيم فيها على الدوام للإخبار بمجيء السفن" ولا يمكن لهذه السفن إلا أنها كانت ترسو بميناء سطورة، غير أننا لا نعلم وقتها الحالة التي كان عليها الميناء وما إذ كان هناك فريق يشرف على إدارة شؤونه، فلا نعثر على أي إشارة تدل على ذلك.

وإذا كنا سنتحدث لاحقا عن طريق يربط بين سطورة وروسيكاد محفوف بالفيلات والمرافق العمومية والمقابر، كذلك يمكن الحديث عن نقاط توقف وجدت بينهما على الساحل، وهي نقاط يثبث وجودها بقايا إسمنتية و بعض الآجر والحجارة كما أورده شاباسيار الذي يضيف قائلا " ونحن نتتبع بدقة الساحل بين سطورة وفليب فيل نتعرف بسهولة عبر عدة نقاط على أن الصخر قد هيئ إما لمرفأ منتظم أو ممر للراجلين، هذه الممرات يمكن فهمها بالحاجة التي اضطر إليها ملاك تلك الفيلات للوصول إلى مبانيهم "[65].

و عموما فانه لم يتبق لنا اليوم أي شيء نستند إليه لتقديم معلومات جديدة، سواء عن الميناء الذي غرق تماما الآن اثر عمليات التوسيع التي عرفها الميناء وخاصة في السنوات الأخيرة أو عن تلك النقاط التي يتحدث عنها كل من شارل فارأو شاباسيار.

---

[65] Chabasssiére. Op.cit. p 10.

الطرق :

بحسب الجغرافيين القدامى فقد كانت تنطلق من روسيكاد ثلاث طرق، طريق باتجاه الجنوب إلى سيرتا وأخر باتجاه ندبوس Nédibus وثالث نحو بارسيانيس Partianis[66]، ولا نعلم يقينا ما إذا كان هناك طريق رابع يتجه نحو الجهة الغربية ليصل روسيكاد بشولو، واغلب الظن أن الطريق الوحيد الذي يصل المدينتين هو طريق البحر، فلم يكن الرومان بحاجة إلى عمل إضافي طالما أن المدينتين تتوفر كلتيهما على ميناء وأن المسافة بينهما على الساحل ستكون اقصر ولا تكلف الكثير مقارنة مع ما قد يواجهونه من صعوبات جمة لو أنهم أرادوا شق طريق في هذه الجبال الوعرة[67].

و إذا كان بالإمكان التعرف على الطريقين الأوليين فإن الطريق الثالث إلى بارسيانيس قد عفا تماما و أمحت أثاره ولم يبق منه إلا صدى ذكراه في المصادر القديمة.

طريق سطورة – روسيكاد:

يمكن اعتبار هذا الطريق جزءا من شبكة الطرق التي تربط مدينة روسيكاد بمحيطها المجاور لسبب واحد، و هو أن هذا الطريق يوصل إلى الميناء الذي يبعد عن المدينة بـــ 4 كم و منه بعد ذلك إلى العالم الخارجي ، كما انه يعد أيضا طريقا استراتيجيا من والى الضفة الشمالية.

ورسم الطريق المؤدي إلى سطورة قديما هو نفسه رسم الطريق اليوم الذي يعبر منطقة بن قانة (الشكل 11) ، حيث يقطع مجموعة من الأودية الصغيرة أهمها وادي بني مالك ووادي

---

[66] Fournel. Op.cit. p 126.

[67] هذا ما يقول به البعض، إلا أن أحدا من هؤلاء لم يقدم لنا دليلا دامغا على وجود هذا الطريق، ماعدا ما ذكره "دولمار" من وجود طريق ترابي عند جسر بني مالك ينطلق في اتجاه القل، و هذا لا يعني بالضرورة انه يواصل فعلا ليصل إلى مدينة القل، فالتضاريس التي سيواجهها هناك تستوجب إمكانيات جبارة، والأرجح أن المدينتين كانتا تتواصلان عبر البحر للأسباب التي ذكرناها، أما فيم يخص استغلال ثروات المناطق الداخلية بينها الأخشاب وصيد الحيوانات وربما المعادن أيضا فقد كان الرومان يصلون إليها عبر عدة نقاط بحرية لا تزال أثارها ماثلة إلى اليوم بكل من شاطئ وادي بيبي ووادي طنجة وغيرهما حيث وجدت بعض الأبنية بمحاذاة تلك المرافئ، والتي تشبه إلى حد بعيد المخازن الرومانية حيث تتوغل من خلالها طرق ترابية نحو الداخل.

القنطرة ووادي المودر أين عثر على أربعة جسور أعيد ترميمها في بداية الاحتلال[68]، لكن جسر بني مالك ووادیه كان قد حل به نفس مصير الوادي الذي يخترق المدينة أثناء الاحتلال الفرنسي عندما تعرضا للطمر بغرض إنشاء طريقين مكانيهما[69]، بينما لازال جسر وادي القنطرة أو غريفا حاليا و جسر وادي المودر قائمين و مستعملين إلى اليوم.(الصورة 01، 02)

و على امتداد طول هذا الطريق المبلط بالحجارة كانت توجد فيلات فاخرة ومباني عمومية ومجموعة من الأضرحة كانت تؤوي توابيت رخامية غاية في الإتقان[70]، حتى أنه أطلق على الطريق بسبب وجود هذه الأضرحة بكثرة اسم طريق القبور la voie des tombeaux[71] . (الشكل 12)

طريق سيرتا روسيكاد :

يعد من أهم الطرق التي تربط المدينة بمحيطها المجاور، وقد بني في القرن الأول للميلاد ويمكن الاعتقاد أنه أقدم من ذلك بكثير بحيث أن ماسينيسا كان ينقل عبره القمح إلى ميناء ميناء سطورة لنقلها بعد ذلك إلى روما[72]، و يتوجب تبعا لذلك أن يكون مهيئا بشكل يسمح بسير العربات عليه حتى يتسنى له نقل تلك الحمولة.

و يحتمل أيضا أن هذا الطريق قد شق خلال الفترة البونية عندما كانت قرطاجة تصول وتجول وتتصرف في شؤون المنطقة.

وقد عرف هذا الطريق تحت حكم الإمبراطور أدريانوس Adrianus أشغال بناء واسعة لتأهيله أكثر كما تشير إلى ذلك نقيشتين عثر عليهما، واحدة بجانب جسر وادي بني مالك بالقرب من باب سطورة أو مبنى البريد المركزي حاليا[73]، و الأخرى بوادي هاجر بالقرب من قسنطينة[74]، وتحملان تقريبا نفس الكتابة ونصها مترجما "تحت حكم الإمبراطور قيصر، تراجانوس، ادريانوس اوغسطس قامت الجمهورية السيرتية على نفقاتها ببناء جسور الطريق

---

[68] Vars(Ch). Op.cit . p36 .

[69] هما الطريق الرئيسي للمدينة ديدوش مراد وطريق الإخوة خالدي غربا.

[70] De Lamare Etude sur stora in Bull Ant de France ,3 série, tome 4. 1859 , p 156.

[71] Vars(Ch). Op.cit . p30 .

[72] Pierre Salama, Les voies romaine de l'Afrique du nord , ,Alger. 1951. p 4.

[73] Vars(Ch). Op.cit . p36 .

[74] Demarceilly, op, cit, p 33.

الجديد من سيرتا إلى روسيكاد، سيكستوس يوليوس كان قائد الفيلق الاوغسطي الثالث ".
و الملاحظ في نص هذه الكتابة التي تؤرخ بحسب تعيين اسم قائد الفيلق بـــ 133م-134م هذه العبارة " جسورالطريق الجديد الروسيكادي Pontes viae novae Rusicadensis

فالجديد، يعني أن هذا الطريق قد أعيد بناءه بشكل كلي، فكلمة الجديد توحي بوجود طريق قديم قبله كما سبقت الإشارة إليه وربما يمكن حتى الاستنتاج أنه بني وفق مسار جديد يختلف مع الأول كما حدث عندما أعاد الفرنسيون بناء الطريق بين المدينتين بشكل يحاذي أحيانا ويتقاطع مع الطريق القديم لكنه يتخذ مسارا جديدا.

و الأمر الثاني الملاحظ في هذا النص هو أن الطريق بني من نفقات الجمهورية السيرتية مع الإشارة إلى الفيلق الاوغسطي الثالث، وهو ما حمل شارل فار على الاعتقاد أن الفيلق الاوغسطي هو من تولى بأمر من الإمبراطور وبتمويل من الجمهورية السيرتية أعمال بناء هذه الجسور نظرا لحاجة هذه الأشغال إلى الخبرة اللازمة والمهندسين الأكفاء، فيما تولى الملاك الخواص الذين يمر الطريق بمزارعهم، بأشغال بناء الطريق بواسطة عبيدهم كما تقضي بذلك تقاليد الإدارة الرومانية في إطار الأعباء المفروضة عليهم[75].

هذا وقد عرف الطريق خلال الفترة الرومانية عدة أعمال ترميم وإصلاحات متكررة كما تبينه الشواهد الألفية التي عثر عليها في مختلف نقاطه[76]، بدءا من تلك التي عرفها خلال حكم الإمبراطور سيبتم سيفورس، كراكلا، غورديان، فيليب العربي، ديس، تريبونيان، غال، اورليان، غاران، قسطنطين.

كان الطريق لا يزال يتراءى للعيان بشكل مستمر أثناء الحملة الاستطلاعية التي قادها الجينرال" نيقريي" إلى ميناء سطورة، ولا يمنع انه كان سالكا قبل ذلك خلال القرون الوسطى كما يستشف من خلال وصف ليون الإفريقي "ويمتد بينها (أي سكيكدة) و قسنطينة طريق مبلط بالحجارة السوداء على نحو ما نشاهده في ايطاليا من بعض الطرق المسماة الطرق الرومانية "[77].

وليس ببعيد أن تكون سلطات البايلك قد استخدمت الطريق للوصول إلى مناطق سكيكدة.

---

[75] Vars(ch). Op.cit . p37 .
[76] Bertrand L, catalogue du musée archéologique de philippeville, Philippeville 1914, pp 28 et 61.
[77] الحسن محمد الوزان الفاسي، المرجع السابق، ص 54_55 .

و يقدم لنا رافوازي وصفا دقيقا لهذا الطريق قائلا "يتكون من حافتين من الحجارة الكبيرة تربط بينهما كل 8 إلى 10 أمتار سلسلة أو عوارض حجرية كبيرة ثم يملأ الفراغ بينهما بحجارة صغيرة، ويصل عرض الطريق إلى 7.20م "[78].

و رغم أن دومارسيي يعطينا نفس الوصف تقريبا: "تتكون من حجارة مكورة كبيرة موضوعة بين خطين متوازيين من الحجارة المنحوتة والجزء الأكثر حالة من الحفظ الجيد يوجد عند غابة الزيتون قرب قاسطون فيل(صالح بالشعور)، وكأن بالأمس فقط أنهيت به الأشغال"[79] لكنه يعطينا بعدها مقاسات مخالفة جدا ما بين 3 إلى 4 متر لعرض الطريق[80].

و من خلال المعاينة الميدانية للطريق بالاتجاه الشرقي لمقر بلدية عين بوزيان، على بعد الكيلومترين يمكن التأكد من معالم الوصفين السابقين، حيث نلاحظ بدقة وجود بعض الحواف الحجرية الكبيرة، كما نرى بوضوح وجود حجارة الملء،(الصورة 3، 4، 5، 6) غير أننا لا نستطيع بسبب الحالة السيئة للطريق، أن نعطي مقاسات محددة لهذا المقطع، ولو أننا نرى أنها تزيد عن تلك التي يقول بها دومارسيي.

ولا يمكن فهم هذا التضارب في الأرقام، ففي وقت يضع فيه رافوازي رقما دقيقا نرى الثاني يضع رقما تقريبيا، وإذا كان الرقم الأول يضع طريق سيرتا – روسيكاد على رأس اكبر الطرق في شمال إفريقيا، فان الرقم الثاني يجعله في الصف الثاني من حيث أنواع الطرق[81]التي أنشأها الرومان في هذه المناطق، وإذا كنا نعلم أن دومارسيي يتحدث عن مقطع يقول عنه انه في حالة حفظ جيدة، فإننا نجهل المقطع الذي اعتمد عليه رافوازي.

وفي جميع الأحوال فإننا نرى أن عرض هذا الطريق سيكون مبالغا فيه بحسب رافوازي إلا إذا كان قد اعتمد مقطعا وشيكا من مخارج المدينة، بينما لا يستحق هذا الطريق الإستراتيجي أن يكون في الصف الثاني من الطرق التي لا تربط إلا بين مدن اقل أهمية من سيرتا وروسيكاد.

---

[78] Gsell (St). Les monuments antiques de l'Algerie ; ouvrage publié sous les auspices du GGA ; tome II ;Paris ;1901 ;page 02

[79] De Marceilly.op.cit ; p 36.

[80] De Marceilly, ibid, p 36 .

[81] يقسم قزال الطرق إلى ثلاثة أنواع ويضع طريق سيرتا–روسيكاد ضمن النوع الأول، بينما تتميز طرق الصف الثاني بكونها اقل عرضا، فهي من 3 إلى 4 م وتتكون من طبقة واحدة من الحجارة المكسرة أو المستديرة مع بعض الاسمنت وبحافتين من الحجارة الصغيرة، أما النوع الثالث فهو عبارة عن طريق ترابي خاص بالمناطق الجبلية. انظر : Gsell (st). Ibid. p 4

وهو ما يؤكده لويس برتران تماما الذي يقطع الشك باليقين عند معاينته لمقطع في حالة جيدة من الحفظ على بعد 4 كلم فقط من مدينة روسيكاد، حيث نراه يقدم وصفا مماثلا تقريبا مع التأكيد أن حجارة الملء هي من مادة الكوارتز، وهو ما يثبت صحة ما ادعاه ليون الإفريقي، وأنها قد جلبت من جبل مجاور، أما بالنسبة لحجارة الحواف التي جلبت من المقلع القريب والذي يطلق عليه إلى اليوم اسم المقلع الروماني(carriere romain) فهي من الحجر الرملي، ثم يعطينا بعد ذلك مقاسات محددة، فحجارة الحواف هي بعرض يتراوح ما بين 0,40م_0,50م، أما ارتفاعها الذي يفوق طولها فما بين 0,65م-0,85م، وبطول ما بين 0,50م-0,80م، ثم يضع أخيرا رقما وسطا لعرض الطريق في حدود 6 م[82].(الشكل 13)

يأخذ الطريق نفس اتجاه الطريق الحالي تقريبا إذ يحاذيه في كثير من الأماكن ويتقاطع معه في نقاط أخرى بحيث يعبر كلا من الحامة، زيغود يوسف، التوميات، عين بوزيان ، غرب الحروش وكذلك بالنسبة لصالح بالشعور ثم مخيم الديس ليصل أخيرا إلى الهضبة التي أطلق عليها هضبة نيقريي. (الشكل 14)

و يقدر" بلين" المسافة التي يقطعها هذا الطريق بـــ 48 ميلا[83]، و هذا الرقم هو الأقرب إلى الحقيقة بينما الرقم الذي قدمه فهرس بوتنغر كما سنعرضه بنفس الشكل الذي قدمه دومارسيي هو رقم بعيد جدا.

يقدر فهرس بوتنغر المسافة على النحو التالي:

من روسيكاد الى فيلا سال	XXX ميل روماني	أي 44 كلم
من فيلا سال إلى بالما	XXV ميل روماني	أي 37 كلم
من بالما إلى سيرتا	XII ميل روماني	أي 18 كلم
LXVII	99 كلم	

و قد حاول دومارسيي تصحيح الوضع الذي رأى انه مبالغ فيه على هذا النحو:

- اعتبارا من أن فيلا سال هي التوميات :

روسيكاد- فيلا سال	XXX ميل روماني	= 44 كلم
فيلا سال-بالما	XI ميل روماني	= 16 كلم

[82] Bertrand L .un trançon de la voie romaine decouverte prés de philippeville.in Bcth 1905 pp 366- 367.

[83] Ajasson De grandsagne, op. cit, p 45.

بالما _– سيرتا XII ميل روماني = 18 كلم

اعتبارا من ان فيلا سال هي قاسطون فيل(صالح بوالشعور) :

روسيكاد– فيلا سال XVI ميل روماني = 24 كلم

فيلا سال _بالما XXV ميل روماني = 37 كلم

بالما–سيرتا XII ميل روماني = 18 كلم[84].

طريق روسيكاد هيبو ريجيوس:

كانت تنطلق من روسيكاد إلى هيبو ريجيوس بحسب ما أوردته المصادر القديمة طريقين أحدهما يحاذي الساحل عبر بارسيانيس Partianis والأخر عبر نيدبوس Nédebus من داخل الأراضي وقد سبق وأن اشرنا إلى أن الطريق الأول قد عفا تماما ولا يمكن تقديم أي وصف عنه، هذا على فرض أن ما ورد في رحلة انطونينوس وفهرس بوتنغر يتعلق فعلا بطريق بري يربط مدن الساحل من رروسيكاد الى هيبو ريجيوس ولا يتعلق بطريق بحري .

و عموما فان الأول منهما يرسم لنا هذا الطريق بهذا الشكل :

روسيكاد، XXV، بارسيانيس، XVII، كولوكيتانيسCulucitanis XXII، تاكاتوا Tacatua XXII، سولوكو Sullucu، XXXII هيبو ريجيوس .

أما الثاني فيقدمه لنا على هذا النحو :

روسيكاد ،XXV ، بارسيانس، XVI كولوكيتانيسCulucitanis، VII، زاكا Zaca، VIII، مازارور (mazarur)، VII، تاكاتوا، XVIIIسوبلوكوSublucu، XXXIII، هيبو ريجيوس[85] .

و الملاحظ هو أن هذا الطريق طويل جدا، بحيث انه أطول من طريق سيرتا روسيكاد بضعفين، وإذا علمنا أن الطبيعة الجغرافية التي يعبرها تتميز بالطابع الجبلي والجبال

---

[84] De Marceill.op.cit. p 36.

[85] Gsell(St). AAA , feuille 02 n° 2.

الصخرية كلما كنا بمحاذاة الشاطئ، فإننا سنتساءل حتما ما إذا كان هناك طريق بإمكان الرومان شقه في هذه المناطق اللهم إلا إذا كان عبارة عن مجموع مقاطع تربط بين الفينة والأخرى بين بعض هذه المدن أو بأصح عبارة، القرى الصغيرة على نحو ما يشير إليه قزال واصفا الطريق الذي يربط سيدي مروان وبون Bone على أنه ليس إلا طريق ترابي بل ويضيف أن السيد بويدراغوين Pouydraguin لا يجد له أي أثر[86].

هذا وسيكون الطريق الذي يربط بين روسيكاد وهيبو ريجيوس مرورا بعزابة، أقصر من ذلك بكثير، وهو نفس اتجاه الطريق الحالي، فبعد أن ينطلق من روسيـــــكاد – بحسب ما ذكره شابسيار الذي قام صحبة السيد "ليوني" Léoni مفتش الاحتلال بفليب فيل سنة 1858م باستكشاف للمنطقة بحثا عن منظومة المياه الرومانية الخاصة بالفلاحة – "يقطع قرية دامريمون (حمادي كرومة حاليا) مارا بمزرعة القايد (بوعافية) مكان الطريق الحالي إلى عزابة ثم يحاذي بعدها "جبل برقوق" ليرتفع على ما يبدو ويتجه صوبا ناحية الشرق إلى عزابة "[87].

و كان هذا الطريق يتراءى للعيان على مسافة الكيلومتر الواحد بمنطقة رأس الماء[88]، ويتكون من طبقة واحدة من الحجارة المكسرة[89]، كما أن طريقا أخرا يلتحق به هناك متفرعا عن طريق سيرتا _ روسيكاد على مستوى الحروش[90] كما هو الحال اليوم.(الشكل 15)

و الملاحظ من خلال هذه الإطلالة على شبكة الطرق التي كانت تربط في القديم روسيكاد بمحيطها المجاور أن أهمها هو طريق سيرتا_ روسيكاد، وهو ما يعكس مدى قوة المعاملات التي كانت تربط المدينتين، بحيث يمكن فعلا اعتبارها كما كانت على الدوام ميناء لهذه العاصمة الأزلية وذرعها الاقتصادي[91] ، كما يتضح لنا أيضا أن شق الطرق حينها قد خضع لرؤية دقيقة جدا، بدليل أن الاحتلال الفرنسي بترسانته الهندسية لم يغير الكثير في هذه الشبكة التي وضعت على المقاس إلا بقدر ما تفرضه المستجدات الحديثة.

---

[86] Gsell(St).ibid , feuille 02 n° 4.
[87] J. Chabasssiére. Op.cit. p 12.
[88] De Marceilly. Op.cit. 37.
[89] De Marceilly.ibid. 38.
[90] Gsell(St). Op.cit, feuille 08 p 17 n°213.

[91] لا أدل على ذلك من أن الفرنسيين عندما احتلوا المدينة اعتبروا بأن بون ستفقد مكانتها لصالح هذا المنفذ الجديد الذي يعد الأنسب للعاصمة النوميذية من بين جميع المنافذ الممكنة بل إن البعض ذهب إلى ابعد عندما تنبأ بمستقبل لهذه المستعمرة يضاهي أو يفوق مستقبل الجزائر العاصمة.

و يمكن ملاحظة أيضا أن الرومان قد وجهوا عنايتهم الفائقة للطرق ذات البعد الاقتصادي والتي تسمح بتوفير أكثر السيولة نحو مخازن روما، بالاضافة إلى أن السياسة التي اعتمدها الرومان بإشراك الملاك الخواص قد أتت أكلها، نظرا لحاجة هؤلاء لتلك البنية التحتية، مما دفع بهم نتيجة الحرص على مصالحهم إلى السهر على صيانة هذا الطريق وإصلاحه باستمرار.

ثانيا: المقابر

المقبرة البونية – الرومانية

أضرحة طريق القبور

المقبرة المسيحية

مقابر المدينة

ارتأيت أن أضع أيضا ضمن هذا الفصل المقابر ذلك أن القاعدة تفرض عموما أن تكون المقبرة خارج المدينة، وأنها بالتالي تمثل في شكل ما حدود المدينة وامتداداتها، ودليلا يقوم على إثبات نواتها الأولى، ولا تشكل روسيكاد استثناء عن القاعدة لكنها في المقابل، تتميز عن غيرها ببعض الخصوصيات التي سنحاول التعرف عليها من خلال هذه المحاولة، جاهدين في تحديد مناطق الدفن التي خصصها الرومان لموتاهم .

وارى أن الضرورة تفرض علينا كما سبقت الإشارة إليه عند الحديث عن طريق سطورة روسيكاد أن نبدأ من هناك، وهذا بسبب الاكتشافات المتعددة التي أدت إلى العثور على مجموعة من المقابر والأضرحة.

المقبرة البونية – الرومانية:

أهم الاكتشافات بهذه المنطقة تعود إلى سنة 1847م حيث أشار الدكتور غايون في رحلته إلى الزيبان إلى مقبرة بالقرب من الشاطئ على يسار خزانات المياه بسطورة، "مميزة بطريقة دفنها فقد كانت الجثث توضع داخل جرار كبيرة من الفخار، الرأس إلى الأعلى، ثم تسند على الأرض الواحدة تلو الأخرى، وبمعاينة بعض جماجم هذه الهياكل العظمية نلاحظ أن أعلاها جميعا قد تعرض للضغط بينما يكون القفا بارزا.

و بجانب هذه المقبرة شرقا توجد مقبرة أخرى حيث نجد على ارض متحركة توابيت من قطعة واحدة، واحد من هذه التوابيت كان يضم بداخله أخر من الرصاص كان يوجد به هيكل عظمي كامل، كانت تلتصق بهذا التابوت نقيشة لاتينية ذات حجم معتبر أخبرنا أنها نقلت إلى أحد المتاحف الفرنسية من طرف أحد الضباط"[92].

هذه التعدد في طريقة الدفن هي التي دعت شارل فار إلى الاعتقاد بان الأمر يتعلق هنا بمقبرتين، تعود الأولى منهما إلى الحقبة الفينيقية على اعتبار طريقة الدفن الخاصة بهم، وهي الطريقة التي اكتشفت بعديد المقابر الفينيقية بقرطاجة والمهدية في تونس وفي بعض المناطق على الساحل الجزائري.

أما الثانية فتعود إلى الفترة الرومانية، إذ رأى الرومان أن سابقيهم قد أحسنوا اختيار مكان الدفن فقاموا بدورهم بالدفن على يمين من المقبرة الأولى [93].(الشكل10)

---

[92] De Lamare.. Op.cit, 164.
[93] Charle vars, Op.cit, p 24.

ويبدو أن النائب البلدي الخاص بسطورو السيد: قريميي Grémilly قد قام ببعض الحفريات التي نشر بخصوصها في المجلة الإفريقية لسنة 1865م ما يلي: "في قطعة أرضية فوق الخزانات الكبيرة لم أجد على مستوى عمق 0,90 م من سطح الأرض إلى 2,30 م وعلى امتداد 1000 م سوى جرارا مختلفة الأحجام تضم عظاما، العديد منها يحوي أثار الحرق وبعضها الأخر سليما، حتى أني لاحظت جمجمة كاملة بكامل أسنان الفك العلوي .

هذه الجرار وقطع الجرار موصولة بعضها ببعض أو ملتحمة وأحيانا متداخلة تتميز كلها بعنق ضيق لا يتجاوز في أحسن الأحوال 0,10 م كما أن لها مقبضين بأحجام مختلفة وقواعدها إما دائرية أو مخروطية "[94].

و قد قام كل من السيد لويس برتران والسيد جون ماري غارديلل Jean-Marie Gardelli قائد فرقة الدرك بسطورة الذي كان يشغل أوقات فراغه بالتنقيب عن الآثار، والسيد الكسندر كولومب Alexandre Colombe ، على اثر انزلاق ارضي بحفرية في الموقع سنة 1900م حيث أسفرت نتائجها عن اكتشاف قبر فنيقي بكل المواصفات التي سبقت، إذ وبعد الحفر لساعات حصل الفريق على حفرة طولها المترين وذات عرض يصل إلى 0,80 م تضم تابوتا خاليا من الأثاث الجنائزي يتكون من جرتين من الفخار تضم الأولى الهيكل العظمي من الأرجل حتى الحوض ثم تتداخل مع الثانية والتي تضم ما تبقي من الجسم.

من خلال وضعية الساقيين يبدو أن الجسم قد وضع مستلقيا على ظهره، كما أن طول الهيكل العظمي يصل إلى 1,63 م، وقد يكون أكثر إذا اعتبرنا التوا ء العمود الفقري وتحرك الرأس من موضعه نتيجة الصدمات[95].(الصورة 07)

و في الأخير فإن برتران يخلص بنا إلى النتائج التالية :

أن طول المقبرة بكاملها هو كما قدره قريميي، أي 1000 م وعرضها يصل إلى 150 م انطلاقا من قدم الجبل شمالا، وتأخذ اتجاه شمال شمال شرق نحو جنوب جنوب غرب في شكل نصف دائري.

و الجزء الذي نجد فيه أكبر قدر من الجرار الفخارية وحيث تنعدم أو تكاد أثار الدفن الرومانية من قرميد واجر فهو على يسار الخزانات أي الجهة الشمالية وهو لا يمثل سوى 60 م

---

[94] Grimilly Louis in R.A 1865 p 75 .
[95] Louis Bertrand . La nécropole phénicienne de stora. In . BCTH 1901. p77.

من إجمالي طول المقبرة ككل، أين يتواجد الجزء الخاص بالرومان على يمين الخزانات أي الجهة الجنوبية[96].

أضرحة طريق القبور :

هكذا يطلق الفرنسيون على جزء الطريق الذي يربط ما بين سطورة وروسيكاد، ابتداء من وادي القنطرة والذي يلتف بعد ذلك حول المرتفع –الذي يجري الوادي شمالا منه – ليأخذ اتجاه جنوب غرب، أين عثر هناك على العديد من العمائر الجنائزية والتي قدم لنا دولمار بشأنها وصفا دقيقا مرفقا برسومات أحسنها ، وتعد وثائق هذا الباحث الشاهد الوحيد المتبقي بعد إذ لم يبق لنا من تلك المعالم شيء.

وعلى اعتبار أن هذا الموضوع ليس موضوعنا تحديدا وحتى لا نتيه في التفاصيل الدقيقة التي تفضل بها "دولمار" في دراسته عن سطورة، فسأقتصر فقط على تلخيص مما ورد في تلك الدراسة على وصف نوعين من القبور التي وجدت بالمنطقة .

ويتعلق الوصف الأول بمبنى جنائزي أحيط بسور خارجي على شكل مستطيل تقريبا بمقاسات (17,25 م × 12,11 م)، أحد الأضلاع الطويلة بالجهة الجنوبية الغربية والتي نظرا لوجوده فوق المنحدر تم تعزيزه من خلال ربطه بالمبنى في الداخل عن طريق قبة نصف دائرية مهيمنة على مدخل المبنى الذي بني بشكل غير ممركز داخل المستطيل، هذا المبنى يأخذا شكلا مربعا، طول كل ضلع (7,92 م). (الشكل 16أ)

يصل سمك جدار المدخل والمقابل له إلى (1,40 م) بينما سمك الجدارين الآخرين فهو (1,35 م)، يفضي المدخل بعد نزول ثلاث درجات إلى قاعة الدفن التي زينت أرضيتها بفسيفساء متعددة الألوان افترشت على طبقة محمرة من الشيست(الشكل 17)، والتي يعتقد الباحث أن البناءون من اجل تسوية الأرضية بها قد قاموا برفع في عدة نقاط إلى طول المتر من الصخرة التي بني فوقها المعلم.

في وسط الجدران الداخلية لتلك القاعة نلاحظ حفرا غائرة أو مداخل كما يصفها دولمار حفرت في سماكة الجدران الثلاث على عمق (0,70 م) وبطول (2,12 م) وارتفاع (2 م) هذه

[96] Bertrand L. ibid. p79.

المداخل هيئت لتستقبل كل واحدة منها تابوتا من الرخام، التابوت الرابع كان قد هيئ له مكان فوق دعامات مدخل القاعة، وهو ما يتبين من خلال مجموعة أجزاء الصناديق الحجرية التي وجدت مكسورة على الأرض حيث يلاحظ أنها لا تتلاءم مع تلك الحفر التي جعلت بالجدران وان مكانها الأمثل سيكون فوق المدخل.(الشكل 16ب)

هذه القاعة كما يذكر الباحث لا تتسع إلا لأربع توابيت على عكس المباني الأخرى التي يتسع بعضها حتى لثمانية، كما هو حال احد الأبنية الذي وجد بالقرب من المبنى الذي وصفناه حيث لا يختلف عنه إلا في بعض الجزئيات البسيطة .

وبحسب دولمار فانه أثناء عملية التنظيف داخل المبنى من اجل القيام بالرسومات أمكن العثور على مئات الميداليات البرونزية لكنه يقول بأن أحد العمال كان قد أسقطها سهوا في البحر مع كتلة اسمنتية ؟ .

تعود أغلب هذه الميداليات إلى قسطنطينوس الثاني حفيد الامبرطور قسطنطين، بعضها يحمل على الظهرالعبارة التالية :

FEL(ix) TEMPVRVM REPARATIO

و على البعض الأخر في نفس الظهر علامة :FL(avius) CL(audius)

أخيرا يذكر أن التوابيت التي عثر عليها داخل القبر وفي أنحاء المكان هي من الرخام الأبيض ذات الصناعة الجيدة وان غطاءاتها محدبة على شكل صهوة حصان، بعضها يحمل زخارف رائعة وكتابات متقنة لا يبدو أنها تعود إلى ابعد من عهد الانطونيين ويشير إلى أن كل التوابيت التي عثر عليها لم يكن من بينها من وجد كاملا فقد كسرت كلها.[97]

أما النوع الثاني من المباني التي حاول "دولمار" أن يقدم لنا عنه وصفا – رغم انه كما يذكر لم يتسن له إزالة الردوم عنه– فهو عبارة عن "كولومباريوم"(columbarium)[98] أمكن التعرف على شكله المربع والذي يصل طول أضلاعه من الخارج إلى 5 م، بينما من

---

[97] De Lamar. Op. cit. pp 158_162.

[98] نوع من القبور المخصص للعائلة الواحدة يفترض أن رب العائلة او كبير العائلة وحده من توضع جثته داخل تابوت بينما تحرق جثث الباقين ويوضع رمادها في جرار(ollae cinerariae) ويدفن الجميع في هذا المبنى الخاص وسنلاحظ نموذجا أخرا منه عند الحديث عن المقابر التي تحيط بمدينة روسيكاد .

الداخـــــل 3 م، ما يعني أن سمك جدرانه هو 1 م، يحمل هذا المربع قبة مضلعة، ويعلو المدخل الذي يتوسط احد الجدران حزام مرصوص من الحجر ويفترض أيضا أن واجهة مثلثة كانت تعلو الجدار الأمامي[99]. (الشكل 18 أ)

يتكون البناء من قاعتين، قاعة علوية هيئ في سماكة جدرانها الثلاثة أزواج من المحاريب الصغيرة تحمل القياسات التالية (العرض : 0,90 م، الارتفاع : 1,30 م).

واضح أن هذه المحاريب كانت تستخدم لوضع الجرار التي تحتوي رماد الجثث، أما التابوت الذي يفترض أن توضع به جثة كبير العائلة كما تقضي بذلك تقاليد الدفن بهذا النوع من المقابر فقد وضع بالقاعة السفلى[100].

بقي أن نشير الى وجود ضريح أخر بالمنطقة وتحديدا بملكية السيد لزيور Lesieure و الذي كان قد طلب من لويس برتران القيام بحفرية هناك بعد اكتشافه للمعلم أثناء قيامه بأشغال البناء، هذا الأخير الذي لم يتوان في ذلك، حيث شكل فريقا وباشر الأعمال بتاريخ 1 مارس 1902م الى غاية 10 جوان من نفس العام وقد قام بنشر أطوار هذه الحفرية مفصلة بمجلة (BCTH) لسنة 1903م.

يأخذ هذا الضريح شكلا مربعا، طول كل ضلع من أضلاعه 6,50 م، كانت تعلوه قبة مضلعة كما يتضح من بقايا أثارها على الجدران، الحفر أو المداخل بسماكة الجدران الداخلية تحمل أيضا نفس قياسات ضريح دولمار السابق عدى أن العمق هنـــا هو 0,55 م، وعلى عكس دولمار فإن لويس برتران قد لاحظ "نتوءات على مستوى هذه المداخل في هيئة رفوف للتمكين من وضع عدة توابيت فوق بعضها، بالإضافة إلى إمكانية وضع توابيت أخرى بمختلف الزوايا حيث جعلت لها عتبات بارتفـــاع 10 سم"[101] .(الشكل 18 ب)

أرضية المبنى هنا أيضا تغطيها فسيفساء متعددة الألوان، لكن لم يبق منها إلا بعض المكعبات حيث كانت تفترش أرضية من الاسمنت.

---

[99] (Gsell(st),MAA. ,tome II ,p 86.
[100] De Lamar, Op. cit, pp 162 – 163.
[101] Bertrand L. fouille dans la propieté Lesieure prés de Philippeville,.IN. BCTH.1903, pp 524-525 .

أما السور الخارجي أو المستطيل الذي يحتضن هذا الضريح – ودائما بشكل غير ممركز حتى انه بالكاد عثر على الحائط الشمالي الذي يبعد عن الضريح بمسافة 9 م – فطول جدرانه كالتالي : 13,50 م × 15,50 م وبارتفاع يصل إلى 6,50 م أما السمك فهو 0,60 م[102].

بسبب وجوده على منحدر فقد تم حماية هذا المستطيل من الخلف على مستوى الجدار الجنوبي ومن الناحية الشرقية والغربية ضد الانزلاق المحتمل للأرض، كما تم ربط الجدار الأول أي الجنوبي عن طريق قبة بالضريح، هذه القبة تشكل رواقا بعرض المتر وعمق يصل إلى 5,50 م، رصعت أرضيتها بفسيفساء بسيطة باللونين الأبيض والأسود، ينفتح هذا الرواق على الجهة الشرقية بينما سد باب الجهة الجنوبية بجدار سميك من الآجر، يعتقد قزال أن الأمر هنا يتعلق بمخزن.[103]

و في الأخير فقد زود هذا الضريح أيضا بقناة لصرف مياه الأمطار عند باب المدخل على مسافة 20 م باتجاه الشمال [104].

المقبرة المسيحية :

لم يكن يتوقع لويس برتران أنه بمواصلة التنقيب على مستوى المعلم لإبرازه أكثر قد يعثر على مقبرة تضم 131 قبرا من مختلف الأنواع سواء بداخل أو خارج السور الخارجي للضريح .

أربعة وعشرون قبرا منها يشبه إلى حد ما تلك القبور التي وصفناها سابقا بجانب الخزانات بسطورة، فهي عبارة عن جرار فخارية يتراوح سمكها ما بين 6 الى8 مم، على شكل اسطواني مفتوحة بشكل طولي في منتصفها من أجل إدخال جثة الميت.

تسند هذه الجرار بجانبيها قطع مثلثة وأخرى مستطيلة من الآجر المزين بخطوط متعامدة، وتغطي مجموعة من القراميد الكبيرة – والتي يصل ارتفاع كل واحدة منها إلى 55 سم وعرض بـــ 37 سم – بشكل هرمي، هذا القبر مشكلة سقفا محدبا تعلوه مجموعة من القراميد الصغيرة المحدبة(الصورة 09)، وجدت كتابة على بعضها مكونة من ثلاثة حروف P.A.B.

---

[102] Bertrand L, op. cit, P 525.
[103] (Gsell(st).op.cit. II .p 85.
[104] Bertrand L, op. cit, P 527.

هذه القبور وجدت تقريبا على مستوى سطح الأرض، وفي عدة وضعيات مختلفة متقابلة وبجانب بعضها البعض وحتى فوق بعضها لكنها كانت في الحالات كلها تأخذ اتجاه غرب شـــرق.

و على عكس المقبرة الفينيقية بسطورة فإن هذه الجرار ذات شكل بسيط فلا يوجد بها عنق أو مقابض، فهي أشبه بتابوت اسطواني، وأكبر هذه التوابيت الفخارية تتراوح مابين 1,80 م إلى 2 م، كما أنه لم يعثر بالقرب من هذه القبور أو في داخلها على أي أثاث جنائزي [105].

و يميز لويس برتران بالإضافة إلى هذا النوع، ثلاثة أنواع أخرى من القبور، اثنتا عشر(12) منها تتكون من مجموع قطع من الآجر ذي الحجم الكبير وضعت بشكل قائم ويغطيها عدد مثلها من الأعلى بينما سدت الفتحتين على الجانبين بقراميد كبيرة بينما كانت توضع الجثة هنا على قراميد مسطحة .

92 قبرا من مثل الوصف السابق لكن تغطيها هذه المرة قراميد منحنية على بعضها مشكلة سقفا محدبا.

و أخيرا هناك قبر بني بواسطة نفس النوع من الآجر المثلث لكنه وضع بشكل مسطح طول القبر من الداخل يصل إلى 2 م وعرضه 0,60 م وعمق بـــ 0,45 م أما سمك الجدران فهو 0,20 م، تعلو هذا القبر قبة مسطحة من الأسفل لحمل زينة من الفسيفساء الملونة.

وجد مع هذا القبر الذي يأخذ أيضا اتجاه غرب شرق بعض العظام ومسمار من الحديد.

هذا النوع يشبه قبر الشهيدة "دينيا" Digna والذي اكتشف سنة 1886م بساحة الكنيسة حيث وجدت به إضافة للمسامير الحديدية والفسيفساء، نقيشة نقلت إلى متحف اللوفركما سنتحدث عنه لاحقا.

هذا التشابه يعزز من فرضية أن تكون هذه المقبرة مسيحية ويعززها أكثر الاكتشاف الذي يضع تحت الضوء المدخل الرئيسي لهذه المقبرة بالجهة الشمالية أين تم اكتشاف عمودين مربعين من الحجر الرملي يعلوهما نحت عبارة عن دائرة بداخلها العلامة المسيحية الخاصة بقسطنطين .(الصورة 08)

[105] Bertrand L, ibid, pp 527-528.

المدخل عبارة عن درج عرضه 1,10 م يوجد بناحتيه الشرقية بناية مقببة أما من الناحية الغربية فنجد سور المقبرة والذي بني من الحجر المنحوت[106].

مقابر المدينة:

كانت هناك على الأقل ثلاث مقابر رئيسية بالمدينة وتتوزع كلها بالناحية الجنوبية، داخل وخارج سور المدينة، لكن وقبل ذلك فإنه قد عثر تقريبا في كل زاوية من المدينة إما على قبر أو ضريح أو حتى على صناديق جنائزية صغيرة تعود إلى فترات مختلفة إلى درجة حملت البعض على القول "يبدو أن مدينة فيليب فيل قد بنيت في مكان مقبرة كبيرة "[107].

ومن بين أهم ما عثر عليه تابوت عليه صورة الميت وهو لطفل في قلب المدينة ()كما عثر أيضا على صندوق صغير من الحجر يعود إلى الفترة الفينيقية خلف الجدار الشمالي لمبنى المستشفى حاليا، بالإضافة إلى العثور على قبر عند محطة القطار و كذلك على عناصر جنائزية في المناطق الشمالية الشرقية على منحدرات جبل بويعلى (الحي الايطالي) وبالقرب من ساحل البحر، وفي الجهة الجنوبية كان المعمرون يعثرون في حقولهم على مقابر معزولة، وفي الاتجاه الشرقي لقرية حمروش حمودي على مسافة 650 م عثر على ضريح هرمي.[108]

و عموما فإن كل هذه النقاط المشار إليها تتوزع فعلا لتغطي كافة أجزاء المدينة ما يثبت حقا أن تلك العبارة السابقة لم تأت من فراغ، كما أنه لا يمكن أن نقدم تفسيرا لذلك الآن، إلا بإجراء دراسة منفردة تخص الجانب الجنائزي للمدينة وضواحيها القريبة.

إذن فقد توزعت المقابر الرئيسية بالجهة الجنوبية للمدينة، اثنتان منها بالجهة الغربية واحدة منهما داخل سور المدينة والأخرى خارجه، أما المقبرة الثالثة ففي الناحية الجنوبية الشرقية. (الشكل46)

يعود اكتشاف المقبرة الأولى، والتي تتواجد داخل سور المدينة إذا اعتبرنا أن هذا السور الذي بناه الفرنسيون كان قد بني على أنقاض السور الروماني، إلى سنة 1840م أثناء القيام على مستوى طريق المسلحة بالحفر من اجل بناء قناة لصرف المياه وذلك بالمستودع العسكري

---

106 Bertrand L, ibid, pp529- 532.

107 Chabasssiére. Op.cit . p 29.

108 Chabasssiére. ibid . p 28.

للخشب[109]، خلف ثكنة الفرسان التي تقابل حاليا ثانوية محمد الصديق بن يحيا (الثانوية الجديدة) وتحديدا أكثر فإن مكان هذه المقبرة هو في الجوار القريب من موقف الحافلات اليوم "مجيد لزرق".

وقد عثر بهذه المقبرة على مجموعة توابيت رخامية لا يزال بعض منها موجودا إلى اليوم بالمتحف البلدي روسيكاد. (الصورة 11، 12، 13) .

وتتميز هذه التوابيت الرائعة بمشاهد من النحت البارز على جوانبها، تنوعت موضوعاتها ما بين المشاهد الوثنية والمسيحية على السواء.

و بالنظر إلى روعة ودقة الأعمال الفنية المنفذة على هذه التوابيت فان هذه المقبرة كانت موقوفة فقط على الأغنياء[110]، كما أنه لم يكن بالإمكان حتى في ذلك الوقت المبكر من الاحتلال معرفة امتداداتها بسبب العمران الذي اجتاحها.

إلا أن ما يثير الغرابة في شان هذه المقبرة هو احتلالها موقعا داخل سور المدينة على عكس ما هو متعارف عليه ، فهل كانت فعلا مقبرة بكامل مقوماتها ام مجرد مكان خاص انفرد به الأغنياء و الشخصيات المهمة بالمدينة لدفن مفقوديهم؟.

و ربما ما يعزز من فرضية أن تكون هذه المقبرة وقفا على الأغنياء، هو وجود مقبرة ثانية بهذه الجهة خلف سور المدينة وعلى بعد عشرات الأمتار من الأولى بالاتجاه الجنوب الشرقي، وتحديدا إلى الجهة الغربية من المقبرة الأوروبية حاليا، حيث محرج النفق الخاص بطريق السكة الحديدية. (الشكل46)

إذ لا يوجد بهذه المقبرة سوى نقوش جنائزية على الحجر الرملي والحجر الجيري وعلى القليل من الألواح الرخامية بالإضافة إلى بعض الأثاث الجنائزي[111]، وهو ما يدل بوضوح على أنها مقبرة للعموم.

أخيرا، فإن ثالث هذه المقابر اكتشفت سنة 1864م عندما تم العثور بملكية أحد المعمرين على نصب جنائزي من الحجر الرملي الصلب بارتفاع: 1,10 م وعرض: 0,58 م

---

[109] Vars(ch) . op.cit169

[110] Chabasssiére. Op.cit . p 29.

[111] Chabasssiére.ibid . p 29.

لشخص يدعى (كليوس بونتكوس) C. Cellius Ponticus[112] .

ثم توالت الاكتشافات لاحقا أين عثر غير بعد بملكية السيد "بورداج" Bordage على تابوت من الرخام مزين بخطوط على شكل الحرف اللاتيني S، والذي وضع بالمسرح الروماني حيث يتواجد به إلى اليوم.

كما قام صاحب الملكية وبتمويل منه، بالإشراف على حفرية أجراها بفناء منزله وبستانه ثم قام بنفسه بتسليم المتحف كل ما تمكن من العثور عليه هناك، إذ أن معظمه عبارة عن كمية معتبرة من العناصر الجنائزية[113].

هذا وقد لوحظ بالمكان أثار أبنية متهدمة، بعضها كان قائما حتى ارتفاع المترين، يوجد بأحد جدرانه عقد من الحجر، يفترض أن يكون مدخلا يفضي إلى قاعة جنائزية[114].

وقد أمكن الجمع من هذا البناء المتردم بعضا من الفخار، مصابيح ، صحون، عناصر برونزية وأخرى من الزجاج المتعدد الأشكال والألوان كانت تزين إحدى واجهات متحف فيليب فيل الأثري[115].

بقي أن أشير إلى أن موقع هذه المقبرة تحديدا قد اتسم بالضبابية لكنه عموما يمتد من الجهة الشمالية لحي الأمل ليدنو من الجهة الجنوبية لسور المدينة، وهو ما يستشف على الأقل من وجود مبنيين جنائزيين آخرين بجانب السور على بعد 400 م غربا من باب قسنطينة.

ويتعلق الأول بـــ "كولومباريوم"، حيث يلاحظ وقتها داخل قاعة تعلو احد جدرانها بقايا قبة الجزء السفلي لضريح كبير العائلة، بينما تضم الجدران الداخلية مجموعة من المحاريب الصغيرة لاستقبال جرار رماد الموتى، مقاساتها كالتالي الارتفاع: 0,60 م، العرض : 0,75 م، العمق : 0,40 م ترتفع عن الأرضية بـــ 0,50 م، طول جدران هذه القاعة هو 3,50 م وأرضيتها من الاسمنت[116].

---

[112] Vars(Ch) . op.cit, p 175.
[113] Vars(Ch) . ibid, p 176
[114] Chabasssiére. Op.cit . p 29.
[115] Vars(Ch) . op.cit. p 175.
[116] Vars(Ch) . ibid. p 177.

غير بعيد، فوق هذا المبنى وجد مبنى أخرا، وهو عبارة عن قاعة تضم تابوتا من الرخام كتب في إطار واجهة التابوت اسم غامض لامرأة بنهاية اسم مذكر Remmia Chrysophorus[117] (الشكل 19) .

لقد حاولت في هذا العنصر التعريج على مختلف نقاط الدفن التي تتوزع بمحيط المدينة و بجوارها القريب وأعني بذلك منطقة سطورة، ومعرفة حدود هذه النقاط وأنواعها والفترات التاريخية التي تعود إليها.

وكما تبين فإن مقابر المدينة تقريبا تتموقع جنوبا على محور واحد يمتد من الشرق إلى الغرب، وفي هذا المحور لم نعثر على أي أثر للمقابر الفنيقية مما يعني هنا أننا على امتداد حدود مدينة رومانية صرفة، وأن البلدة التي تحدثت عنها المصادر القديمة تحت اسم طابسوس لم تكن حدودها لتتجاوز وسط المدينة محتلة بذلك المنحدرات الغربية لجبل سكيكدة حيث عثر هناك وخلف جدار المستشفى على أثر دفن فنيقي.

ويبدو من خلال حجم المقبرة التي وجدت بجانب ميناء سطورة أن تلك المنطقة قد عرفت استيطانا معتبرا للفنيقيين وأن الرومانيين من بعدهم قد انتهجوا نفس طريق اسلافهم.

وعموما فإن مقابر روسيكاد وتلك المتواجدة على طريق سطورة قد توزعت كما تقضي بذلك عادات الرومانيين بسوبربانوم المدينة، وهو ما نلاحظه بشكل أوضح على طول طريق سطورة – روسيكاد أو بالمقابر التي تقع جنوبا على يمين ويسار طريق سيرتا – روسيكاد.

[117] Vars(ch) . ibid. p 178.

لقد فرض الموقع الجغرافي نفسه على التوزيع العمراني للمدينة، وللتذكير فان هذا الموقع يوجد بين دفتي جبلين هما بويعلى غربا وسكيكدة شرقا مشكلين أشبه بحوض مفتوح على البحر في جهته الشمالية، ومن هذه الجهة أيضا فان جبل سكيكدة يتميز بانحداره الشديد فضلعه الشمالي يرتفع بشكل قائم تماما مما منع إقامة أي نوع من العمران بهذه الجهة، وعلى العكس من ذلك فان الضلع الشمالي لجبل بويعلى اقل انحدارا ويمكن مع بعض أشغال التهيئة إقامة مباني هناك بالإضافة إلى كون هذا الضلع يشكل همزة وصل بين المدينة وضاحية سطورة حيث يوجد الميناء الرئيسي.

أما من الناحية الجنوبية فنجد بعض الهضبات المنبسطة والتي تلتقي عند باب قسنطينة حيث يمتد من هناك باتجاه الجنوب سهل زرامنة. (الشكل 05).

ثالثا: الأسوار

السور الخارجي

السور الداخلي

الأسوار :

السور الخارجي:

و بغية حماية المدينة من جميع جهاتها فقد ارتأى الرومانيون بناء سور محيط يشمل كل مرتفعات هذا الحوض، إذ يفترض أن السور الذي بناه الفرنسيون ضد الهجمات المحتملة للمقاومة الشعبية الجزائرية عند بداية الاحتلال، قد بني تقريبا على نفس خطوط السور القديم، هذه الخطوط التي نرى من خلال الآثار اليوم أنها تسير على كامل رؤوس المرتفعات المحيطة بالمدينة، حيث يمكن لأبراج المراقبة الموزعة عبر مختلف نقاطه الإشراف على رؤية بعيدة وشاملة سواء إلى داخل أو خارج المدينة وفي كل اتجاه، (الشكل 05، 06، 08) ولا يمكن إلا أن يكون هذا هو الوضع في الفترة القديمة إذ يستحيل بناء سور وفق مسار أخر لان ذلك سيكون بلا فائدة ولا يوفر الحماية المناسبة.

كما أن المعطيات الأثرية على الأرض أيضا تثبت ذلك، حيث اكتشفت أثناء بناء السور الجديد العديد من مواد البناء الخاصة بهذا المعلم[118] بل إن الفرنسيين كانوا قد استعملوا مواده في بناء السور الجديد وهو ما نلاحظه إلى اليوم، وكذلك نجد أيضا أن بعضها لا زال قائما في موضعه، خاصة بمنطقة باب الأوراس. (الصورة)

و عموما فحتى سور الاحتلال الفرنسي اليوم نجده مبتورا على مسافات متباعدة جدا، ولا نجد إلا بعض أجزاء منه في أعالي كل من بويعلى وجبل سكيكدة مما يقلل من فرص العثور على إثباتات جديدة لوجود سور روماني يأخذ نفس اتجاه السور الجديد.

و بالإضافة إلى كل ما سبق ومن خلال دراسة المراجع الفرنسية الباكرة التي تعرضت لوصف المدينة اثريا، نلاحظ أنها لم تشر إلى وجود مؤشرات أو بقايا تدل على وجود سور أخرا ماعدا الذي تحدثنا عنه، والذي يقول بشأنه فناك "أن معالمه لم تكن واضحة على الأرض بدقة"[119] .

---

[118] Chabassiere,.op. cit, p 8.

[119] Fenech. Op. cit.22.

السور الداخلي:

كان يوجد بداخل المدينة سورا أخرا، وهو ما يؤكده بداية نفس الكاتب بجملة غامضة عندما يتحدث عن توزيع البقايا الأثرية للمدينة الرومانية قائلا بأنها "توجد داخل صور ضيق "[120] ولا يمكن إطلاقا فهم هذه الجملة إلا بافتراض وجود سور داخلي للمدينة لان صفة الضيق لا تنسحب على السور الخارجي كونه بالنسبة لمدينة قديمة كروسيكاد أو غيرها يعد واسعا جدا.

و يأتي التأكيد هنا بوجود هذا السور الضيق في الدراسة التي أعدها دومارسيي عن أثار دائرة "فليب فيل" حيث يؤكد حسب الشهادات التي استقاها ممن كان ضمن بعثة المارشال فالي والذين عايشوا البدايات الأولى لإنشاء المدينة، وجود برج تقريبا عند المشارف النهائية لشارع روايال(مصطفى بن بولعيد)، ثم يثني بعدها بشهادته شخصيا على وجود جزء من جدار كان قائما وقتها أي في حدود سنة 1852م، حيث تظهر أساسات على شكل دائري يبدو أنها خاصة بالأبراج، ويتكون السور من كتل مبنية من الدبش التي تقطعها سلاسل عمودية من الحجارة المنحوتة وصفوف أفقية من الآجر بشكل يرسم مربعات ويأخذ هذا السور اتجاها نحو البحر، حيث كانت أساساته تلوح بالمبنى الذي استعمل في البداية ككنيسة مؤقتة[121]. (بالقرب من مجلس القضاء).

هذا ويضيف شاباسيار انه أثناء إنشاء المدينة لوحظ أيضا وجود برج بأعلى الطريق الرئيسي، يفترض انه يشكل جزءا من منظومة دفاعية تتكون من سور بقيت "أثاره هنا وهناك حيث كان يمكن لو استمرت الاكتشافات، أن نثبت بان في روسيكاد كغيرها من المدن الأخرى هناك خطين دفاعيين من الأسوار"[122].

و يمكن الاستنتاج من خلال ما سبق أن هناك سور داخل المدينة، وهو يحيط بالمباني المتوزعة في الناحية الشمالية الغربية، ويحتمل بسبب تقنية البناء انه يعود إلى فترة مبكرة من الاحتلال الروماني، وانه ربما من إنشاء مرتزقة ستيوس الذين قاموا بإنشاء المدينة أولا، حيث كان الغرض منه التحصن ضد المقاومة المفترض أنهم عانوا منها أثناء احتلالهم المنطقة[123] وأيضا من اجل تثبيت دعائم الاستيطان الروماني هناك، ذلك أن وجود سور داخل المدينة خلال

---

[120] Fenech . ibid p 13.
[121] Demarceilly. Op.cit. p 27.
[122] Chabassiere.op. cit. p 8.

[123] محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص

أزهى فترات روسيكاد لا يعد ضروريا بالمرة، مضافا إلى كل ذلك أن هذا السور لا يغطي إلا جزءا صغيرا من المدينة و هو الجزء الذي لا يشمل في تغطيته مرفقا مهما بحجم الكابتول مثلا.

كما أننا نجهل في ظل غياب ادني المؤشرات ما إذا كان هذا السور يعود إلى الفترة البونية وما إذا كان الفنيقيون أو ما يطلق عليهم بالبونيين قد التمسوا الحماية لمديتهم "طابسوس" خلال فترات التاريخ الحرجة التي عرفتها المنطقة.

رابعا: التوزيع العمراني

المرافق العمومية

الفوروم

المعابد

المسرح

المدرج

الحمامات

النافورة العملاقة

الفيلات

المنشات المائية

المخازن

المتحف

التوزيع العمراني :

تميز التوزيع العمراني للمدينة بحسب الآ مكتشفة عند بداية الاحتلال بالانتشار الكثيف للمباني على المنحدرات الشمالية والشرقية لجبل بويعلى وفي عمق الوادي على جهتي الطريق الرئيسي للمدينة اليوم، وصولا حتى ساحة أول نوفمبر وكذلك على المنحدر الغربي لجبل سكيكدة أسفل مبنى المستشفى المركزي، وهي الأماكن التي تسمح تضاريسها المنبسطة أكثر كلما اتجهنا نحو الساحل بالتعمير فوقها. (الشكل46)

ويميز دومارسيي في هذه المناطق وجود ثلاثة أحياء كبيرة، يقع الأول منها على المنحدر الغربي لجبل سكيكدة أسفل المستشفى كما ذكرنا، وبحسبه فإن مباني هذا الحي" أقل أهمية، إذ لم يتم العثور هناك في حدود علمي على أي كتابة تتعلق بأي مواطن روماني، بينما في عمق الوادي(الطريق الرئيسي) والمنطقة الساحلية والقاعدة الشرقية لجبل بويعلى فتوجد المباني الهامة من خزانات ومعابد ومرافق عمومية ومنابع عملاقة"[124].

و هذا الحي أو المنطقة العمرانية هي التي يشير إليها فناك بقوله " داخل سور ضيق توجد أثار رائعة حيث يمكننا من خلال الآثار المستخرجة الاعتقاد أن مدينة روسيكاد بنيت كلها من أعمدة من الرخام والغرانيت"[125].(الصورة 14، 15)

و أخيرا هناك الحي الذي تنتشر مبانيه الفخمة والمتعددة على مستوى الجهة الشمالية أيضا لجبل بويعلى حيث نجد أثار المباني المختلفة عند كل خطوة نخطوها هناك.

و يجعل "دومارسيي" المسرح الروماني كحد جنوبي لهذه المناطق العمرانية ويقول أن بينه وبين السيرك الذي يقع نحو الجنوب الشرقي خارج سور المدينة لا توجد إلا بعض القبور وأساسات المباني المعزولة من مثل أساسات احد الخزانات قرب ثكنة الفرسا[126](حاليا مسجد ابن باديس)[127].

---

[124] Demarceilly. Op. cit. p 26.

[125] Fenech. Op. cit. p 25.

[126] Demarceilly. Op. cit. p 28.

[127]تجري حاليا عملية توسيع المسجد، و قد أمكن خلال مجريات الأعمال استخراج العديد من الحجارة المنحوتة من الموقع و التي تتسم بالضخامة كما يمكننا رؤية بقايا الجدران المتباعدة عن بعضها البعض بشكل متوازي كل 3 إلى 4م ، بالاضافةالى وجود جدارا يتكون من حجارة الملء بسمك المتر ونيف على التماس المباشر لرصيف الطريق .

و إذا كان شاباسيار في وقت لاحق يوافق على بعض ما جاء في هذا الوصف الذي قدمه دومارسيي عن الانتشار العمراني بالمدينة وحتى يؤكد على بعضه إذ يتحدث عن حفريات جرت ما بين سنتي 1892م-1893م أثناء بناء أحد خزانات المياه على امتداد الجهة الجنوبية (من ثانوية العربي التبسي) ، لم تسفر النتائج عن وجود أي اثر للاستيطان الروماني هناك لكنه في المقابل وعلى العكس مما ذهب إليه سلفه يتحدث عن وجود العديد من الآثار المتمثلة في أساسات المنازل في الجهة الجنوبية من المسرح وصولا إلى ما وراء سور المدينة[128].

و ربما يمكن إيعاز سبب هذا الاختلاف إلى الفارق بينهما في الزمن، ففي الوقت الذي قدم لنا فيه دومارسيي وصفا لوضعية الميدان عقب بداية الاحتلال مباشرة، أي خلال العشر سنوات الأولى من الاحتلال فان الثاني قد حظي بفرصة مشاهدته بعد أن اكتسحته آلة التعمير وما أفرزته من اكتشافات جديدة.

و الواقع فان التوزيع العمراني كما تحدثنا في البداية، قد خضع بشكل أوضح ومن خلال استعراض هذين الوصفين لمعاصرين لأحداث الاحتلال الأولى، إلى غاية تحديد الملامح النهائية للمدينة كما تبدو في شكلها اليوم، إلى الاعتبار الطبوغرافي أولا، حيث شكل المبسط القريب من الساحل والمنحدرات القريبة على ضفتي الوادي النواة الأولى للمدينة، وربما تعود هذه النواة إلى فترة ما قبل الغزو الروماني، ثم قام الرومان فيما بعد بتوسيع هذه النواة وفق ما يفرضه مخطط المدينة المعروف لديهم، وهو ما سنتطرق إليه في الصفحات القادمة.

لكن وقبل ذلك وفيم يخص منطقة سطورة أو هذه الضاحية التي تشكل جناح وإلا شراع المدينة، فقد خضعت بدورها إلى العامل الطبوغرافي، فكونها تتميز بالمنحدرات الشديدة و المتحركة فذلك حتم على الرومانيين تركيز مناطق العمران بها فقط في بعض النقاط التي تتوفر على بعض شروط التعمير، وهوما يشير إليه دولمار قائلا "الأرض المنبسطة حول الطريق نادرة جدا، لكن القدامى استغلوا جميع النقاط التي من الناحية الفيزيائية تسمح بالبناء عليها، إلى درجة أن المباني لا تكاد تنقطع على امتداد الطريق، فيلات متهدمة، بقايا جدران مغيبة تحت الأرض لا يظهر منها إلا قليل، قاعات تحتوي على فسيفساء ..."[129].

---

[128] Chabassiere. Op. cit. p 7.

[129] De Lamare. Op. cit. p 156.

وكذلك الشأن بالنسبة للمناطق الوشيكة من الميناء إذ نظرا لضيق الشريط المنبسط حول الميناء فقد أنشئت الخزانات والمخازن تقريبا على ضفاف الساحل مباشرة.

المرافق العمومية :

حتى يتسنى لنا توزيع مختلف المرافق العمومية استنادا دائما إلى الآثار المكتشفة من طرف ضباط الاحتلال الفرنسي علينا أولا أن نحدد معالم الطريقين الرئيسيين للمدينة أي "الكاردو ماكسيموس" و"الدكومانوس" اذ على ضوء هذين الأخيرين كان يتحدد توزيع مختلف العمائر.

و كما سبقت الإشارة إليه في نقاط عدة فان التكوين الجغرافي للمدينة يتميز بوجود واد صغير يقسم المدينة إلى قسمين ويأخذ اتجاه جنوب شمال وهو الوادي الذي خلفه في فترة الاحتلال الطريق الوطني (ديدوش مراد) كما أن هناك مجرى أخرا على منحدر جبل بويعلى يصب في هذا الوادي وهو ما يصفه شاباسيار بدقة قائلا: " الطريق الوطني وشارع اوسترليزAusterlitz كانا عبارة عن واديين تعرضا عبر الزمن للانهيارات المتكررة لمنحدرات بويعلى، والفرنسيون انهوا عمل القرون عندما قاموا بتشييد مباني شارع الطريق الوطني وشارع الوادي Rue du ravin[130] ".

وقد قام الرومانيون ببناء حافتي هذا الوادي بحجارة كبيرة وتم توصيل قسمي المدينة بمجموعة من الجسور الصغيرة[131].

و تبعا لهذا الوضع فان الطريق الروماني الذي يعبر المدينة انطلاقا من باب قسنطينة باتجاه الشمال أو ما يسمى بالكاردو ماكسيموس Cardo Maximus كان يحاذي الضفة الشرقية لهذا الوادي أولا حتى يصل إلى وسط المدينة، حيث يوجد الفوروم ثم ينعطف عند الزاوية الشمالية الغربية منه نحو الغرب عبر جسر هناك، ليواصل باتجاه الشمال بعدها إلى غاية ساحة أول نوفمبر، أين ينعطف مجددا نحو الغرب باتجاه سطورة وفق الرسم تماما للطريق اليوم.

و تؤكد اغلب الاكتشافات الأثرية هذا المسار فشارل فار يتحدث عن وجود بلاطات كبيرة لطريق روماني في الجهة الغربية من الوادي عند تقاطع طريقي ديدوش مراد وطريق بوجمعة

---

[130] Chabassiere. Op. cit. p 5.

[131] تم اكتشاف بمنطقة اخماخم بلدية أولاد احبابة دائرة الحروش سنة 2011 موقعا اثريا يعود إلى الفترة الرومانية بالجوار من واد بني بإحدى ضفتيه جدار من الحجارة المنحوتة الضخمة (الصورة)، يمكن الاعتقاد بسببه أن الوادي الذي يخترق روسيكاد قد هيء بضفتيه جدارين شبيهين بهذا الجدار الداعم.

لباردي[132] وكذلك الأمر بالنسبة لستيفان قزال الذي يوزع مرتين الرقم 7 في الجهة الشرقية على يسار الفوروم في دلالة على وجود بلاطات حجرية لطريق روماني، ويقول بأنه استقى هذه المعلومات من لويس برتران[133] الذي لا يشك احد بمدى معرفته الواسعة بحيثيات أثار المدينة.

أما بالنسبة للديكمانوس ماكسموس Decomanus Maximus فلا يمكن إلا أن يكون طريق بوجمعة لباردي اليوم، لأنه يمثل منتصف محور الكاردو حيث يتقاطعان عند الزاوية الشمالية الغربية للفوروم، و يأخذ الكاردو اتجاه الغرب مباشرة نحو واجهة المسرح الروماني[134].(الشكل46)

الفوروم :

كما تبين فان فوروم مدينة روسيكاد يحتل الوسط تماما عند تقاطع الطريقين الرئيسيين ليشمل ما يوافق حاليا الحدود التالية تقريبا:

من الشرق : نهج مجيد لزرق

من الغرب : طريق ديدوش مراد

من الشمال : نهج بوجمعة لباردي

من الجنوب : نهج محمد خميسي

و هذه الحدود توافق القسم الأكبر من فضاء ساحة الحرية اليوم والتي كانت تحتل كنيسة القديس فيليب جزء هاما منها وهي الكنيسة التي بنيت على أنقاض البازيلكا كما سنعمل عل توضيحه فيما بعد. (الشكل46)

و استنادا إلى الاكتشافات التي للأسف أن الكثير منها لم يحدد مصدر العثور عليها بدقة، فان تاريخ بناء فوروم روسيكاد يعود الى بداية القرن الأول للميلاد، وهو ما يمكن استنتاجه من خلال تواجد تمثال "اغريبين" agrippine الذي يفترض انه كان يزين محيط ساحة الفوروم[135]area حيث لم يبق من هذا التمثال إلا الرأس كما يصفه فار نقلا عن برتران

---

[132] Vars. Op. cit ; P 92.

[133] Gsell (St).AAA, F 08 p 14.
[134] Vars. Op. cit. p93-94.
[135] Vars. Ibid. p 101.

" الشعر مفرق بانتظام بأعلى الرأس مموج ومجموع في الخلف عبر ضفيرة طويلة مع وجود خصلتان ساقطتان على جهتي الوجه "[136].

و تبين لنا كتابة يقول فناك بأنها وجدت على المنحدر الشمالي الشرقي للمدينة[137]، أي بالقرب من الفوروم، أن احد الشخصيات الكبرى بالمدينة ويدعى : ك كايكيليوس غالوس (c caecilius gallus من قبيلة "غاليريا " كان حاكما لروسيكاد " يوري ديكوندو" juri di cundo قام ببناء باسم زوجته "بروكسينيا بروكولا" واولاده غالا، غالوس، كورونكانيا ونيجلينيا محكمة وقاعات للخطابة [138](Rostrum).

و يقارن شارل فار حجم فوروم روسيكاد بحجم فوروم تيمقاد، معتقدا أن هذه الأخيرة لا تفوق في الأهمية مدينة روسيكاد، كما أن قوانين "فيتروف" Vitrive بحسبه التي تستوجب في مثل إنشاء هذا المرفق تناسب الحجم مع عدد السكان، تفرض هذه المقارنة[139].

و نظرا لغياب الأدلة الأثرية الكافية فيما يتعلق بفوروم روسيكاد، فانه لا يمكن قطعا نفي أواثبات صحة هذه المقارنة، و يمكن من خلال اجراء حفريات بالمكان الذي لم يطله التعمير كما هو الشأن بالنسبة لمختلف المعالم الأخرى، العثور على مؤشرات لعقد مثل تلك المقارنة.

و لا يبدو أن أثار هذا المعلم توجد على عمق بعيد من سطح الأرض، فحفريات –إنقاذية دائما– جرت خلال فترة الاحتلال الفرنسي وتحديدا سنة 1886م أثناء انجاز حديقة أمام كنيسة القديس فيليب[140]، وهو أمر لا يتطلب الحفر إلى مستويات عميقة، بينت أن هذه الأخيرة بنيت على أساسات مبنى شبيه، وهذا المبنى لا يمكن إلا أن يكون كنيسة القديسة دينيا كما أكدته الاكتشافات التالية في نفس المكان حيث تم العثور على نقيشة من الرخام (0,48 م × 0,12 م تتحدث عن بناء كنيسة من طرف الأسقف نافغيوس (navigius) تخليدا لذكرى القديسة دينيا التي استشهدت بروسيكاد في غضون القرن الثالث للميلاد[141].

و معلوم أن شكل البازيليكا يشبه إلى حد بعيد شكل الكنيسة ولذلك نرى أن أغلب البازيليكات تحولت عند سقوط الديانة الوثنية تلقائيا إلى كنائس، حتى أن كبرى الكنائس صار يطلق عليها

---

[136] Vars. Ibid. p 101.
[137] Fenech. Op. cit. p 31.
[138] Vars. Op. cit. p 96.
[139] Vars. Ibid. p 97.
[140] Vars. Ibid. p 98.
[141] Vars. Ibid. p 98.

اسم البازيليكا و حاصله، أن كنيسة القديسة دينيا والتي بنيت على أساساتها في فترة الاحتلال الفرنسي كنيسة القديس فيليب هي نفسها البازيليكا الرومانية وهو ما يمنحنا يقينا أكبر حول مكان تواجد الفوروم.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن العثور بمحيط موقع الفوروم على نقيشات تذكارية وتماثيل على غرار تمثال الإمبراطور انطونينوس التقي، الذي اكتشف سنة 1851م على مستوى طريق ديدوش مراد أمام مكان الحديقة سالفة الذكر يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن فوروم روسيكاد كان يحتل أكبر جزء من ساحة الحرية وأن حدوده هي تلك التي قمنا برسمها بداية.(الصورة 16،17،18)

و بالعودة إلى القديسة دينيا فقد عثر غير بعيد من مكان الحديقة على قطعة فسيفساء

مربعة الشكل، طول كل ضلع 4 م، وجد تحت هذه الفسيفساء قبر بني من الحجارة المنحوتة أما جدرانه من الداخل فقد بنيت بواسطة الأجر، مقاساته كالتالي (2,20 م × 0,60 م)، يحتوي هذا القبر على هيكل عظمي كامل الأجزاء، وضع الرأس فيه على قطعة من القرميد في الاتجاه الشرقي، كما وجد بالقرب من الهيكل أربعة مسامير معدنية بطول 10 سم[142].

طريقة الدفن هذه وفي هذا المكان وتحت قطعة فسيفساء كبيرة هي ميزة لا يحظى بها إلا أعيان الديانة المسيحية مثل القديسين والشهداء أو أكابر العائلات الدينية، ونظرا لكون شكل الهيكل العظمي هو لامرأة ووجود القبر على مقربة من المكان حيث عثر على النقيشة التي سبق الحديث عنها فلم يعد يمكن نسبة هذا القبر إذن إلا لهذه القديسة الشهيدة "دينيا"[143].

لكن الملفت للانتباه في شان هذه القديسة هو أنها رغم جلال التقدير الذي حظيت به في مراسم الدفن هذه إلا أن اسمها لا يرد في السجلات المسيحية ولا حتى اسم الأسقف نافغيوس الذي قام ببناء الكنيسة تخليدا لذكراها يرد في لائحة الأساقفة Africa christiana فهل كانا دوناتيين ؟

---

[142] Vars(Ch) , ibid, p 98.

[143] هذا ما يقول به فار والكثير من الباحثين إلا ان تولوت اناتول يعتبر ان القبر والهيكل العظمي بداخله إنما هما للأسقف نافيغيوس ويفهم ضمنيا من خلال وضعه لاسم هذا الأسقف ضمن مجموع أساقفة روسيكاد دون الإشارة إلى مذهبه الديني بانه يعتبره كاثوليكيا (انظر Toulotte antole. geographie de l'afrique chritienne .numidie. paris 1894 p 261)

ليس من السهل الإجابة على سؤال كهذا، فنقيشة "نافيغيوس"[144] لا تحمل بين طياتها أي إشارة إلى مذهبه الديني كما أنها لا تتحدث عن الظروف التي اكتنفت استشهاد القديسة دينيا، إذن فربما تكون هذه الأخيرة واحدة من الشهداء المجهولين الذين قضوا في حملة الاضطهاد الديني ولم تدون أسماءهم في السجلات المسيحية بإفريقيا[145].

و يعتبر "ايدموند لو بلان" Edemande leblant انه من غير الممكن إصدار أي

حكم بشان هذه المسالة في ظل انعدام التفاصيل الكافية حول هذا الاكتشاف الأثري من مثل موقع الدفن تحديدا بالنسبة للكنيسة[146].

و بالنسبة إلينا أيضا وفي ظل غياب المزيد من المعطيات الأثرية فلا يمكننا التطاول أكثر حول الحديث عن الفوروم والذي كما سبق ذكره يحتاج إلى عمل ميداني أكثر من حاجته إلى البحث عنه في الوثائق التي يبدو أنها كفت إلى حد الآن في تحديد موقعه.

المعابـــــــد :

غير بعيد عن الفوروم في الجهة الغربية بعد عبور الجسر الذي كان يربط قسمي المدينة على مستوى الكاردو[147]، كان يتواجد على يمين هذا الجسر باتجاه الشمال أي مكان المسرح الجهوي اليوم ومبنى مجلس القضاء، معبدين كبيرين، هما معبد فينوس ومعبد النصر، كما وجد قبالتهما معبد ثالث مجهول أي على الضفة الغربية للوادي ، ويمكن إجمالا من خلال المخلفات الأثرية إحصاء سبعة معابد على الأقل بمدينة روسيكاد.

و كحال المعالم الأخرى فان المباني المخصصة لهذه المعابد لم يبق لنا منها شيء، إلا بعض النقائش التي تومئ إلى مكان وجودها، وكذلك بعض المخلفات المعمارية المبعثرة هنا وهناك من مثل الأعمدة الضخمة والتيجان العملاقة وواجهات هذه المعابد و أفاريزها(الصورة 19) وعلى العموم فسنحاول وصف مواقع هذه المعابد ومختلف اللقى التي وجدت حولها.

---

[144] ونصها مترجما " هاهنا ترتفع أعمال السقف المقدسة حيث تقوى العناية تهب الكنيسة تخليدا للذكرى الجليلة للشهيدة دينيا، نافغيوس ،النبيل العظيم، الذي هو أبونا دائما، وزير شريعة المسيح ،قام ببنائها، فلينظر الجميع إلى صرحه الديني"

[145] Allard (Paul) .histoire des persécution tome I paris 1900 p 447.
[146] Edmande Leblant, Découverte d'une inscription chritienne à Philippeville , IN BCTHS 1886, p 370.
[147] Chabassiere, op. cit, p 14.

معبد جوبتير :

احتل هذا المعبد موقعا مهيمنا على كامل أرجاء المدينة ومحيطها القريب وهذا حتى يتسنى لكبير الآلهة الرومانية وحامي حماها كما هي معتقدات الرومانيين أن يحظى بمراقبة جيدة لكل الأحداث الجارية في فلك المدينة.

هذا الموقع الذي بني مكانه في الفترة الاستعمارية عامين بعد الاحتلال أولى المباني الفرنسية ألا وهو المستشفى الذي لا زال يحتفظ بمكانه إلى اليوم على مبسط ارضي أسفل رأس الوقاذة (من الناحية الغربية لجبل سكيكدة)، حيث تم العثور عند بناء المستشفى على بقايا أثرية لمبنى قديم إلا أن الهندسة العسكرية قامت بتدمير كل ما وجد هناك من اجل بناء المستشفى دونما تسجيل أو وصف لذلك المعلم المهم والذي كنا سنجهل موقعه تماما لولا وجود كتابة نذرية وجدت بمحيط الموقع وسط الركام [148](Iovi O.M.Apennino) .

و تدل البقايا الأثرية المبعثرة هناك، حجارة منحوتة وبقايا جدران كبيرة على مدى ضخامة هذا المعلم الذي يبدو انه شكل قديما في روسيكاد علامة مميزة كونه يلوح للنظر من كل زاوية كما انه يشرف بالمقابل على رؤية شاملة للمدينة وما حولها ما يجعلنا نجزم ان كابتول روسيكاد كان بهذا الموقع[149]. (الشكل)

معبد فينوس :

كما أسلفناه فإن هذا المعبد يوجد بالجانب الشمالي للفوروم مكان المسرح الجهوي اليوم حيث لا زلنا نلاحظ وجود الأساسات التي بني عليها في الطابق تحت الأرضي للمسرح .

هذه الأساسات كانت في الأصل عبارة عن خزانات كبيرة والتي يعتقد دومارسيي انها شكلت لاحقا "أساسات أهم مبنى بروسيكاد، ذلك أن اغلب التماثيل وقطع الرخام الجميلة جلبت من هناك[150] ".

و تحتل هذه الخزانات مساحة تقدر ب 850 م^2 وتتكون من ست غرف مستطيلة بأطوال تباينت مابين 25 م الى27م باتجاه شرق غرب وبعمق يقدر ب 25م مع وجود ثلاثة صفوف من الأسقف كل 8م وبسعة تصل الى 5000 م[1513] .(الشكل 20)

---

[148] Chabassiere. Op. cit. p 27.
[149] Chabassiere. ibid. p 28.
[150] De Marceilly. Op. cit. P 27.
[151] Vars. Op. cit. p 90.

وواضح من خلال انحناء القباب العليا باتجاه الشرق أن ذلك من اجل التمكين للصعود عبر سلم متكون من عدد معتبر من الدرجات للوصول إلى المعبد الذي شيد فوق القباب التي شكلت

كما ذكرناه أساسات له[152].

هذا المعبد الذي تدل على وجوده العديد من القطع الأثرية التي وجدت بالموقع ومنها أعمدة ضخمة ذات قطر 0,90 م مما يعني أن ارتفاعها يقدر ب 9 م[153] وكذلك أدراج من الرخام ويد ورأس تمثال كبير يقول عنه قزال ما يلي "الخطوط (الوجه) مثالية ولا يمكن إلا أنها تمثل إحدى الآلهة ربما فينوس راعية روسيكاد ... والتي حتما يمكن التفكير بأنه كان لها في هذه المدينة تمثال عملاق "[154].

و بالنظر إلى حجم الرأس (0,63 م) فان هذا التمثال قد يرتفع إلى الأربعة أمتار حيث كان يتخذ مكانه داخل قاعة المعبد الفخمة والضخمة في آن معا[155].

إذن فهذا المعبد الذي يحتل وسط المدينة على مقربة من الفوروم والذي بني بشكل عملاق يمكن أن يكون معبد فينوس راعية روسيكاد.

معبد النصر :

على يسار معبد فينوس مكان مجلس القضاء اليوم كان ينتصب معبد أخر هو معبد النصر كما تدل عليه النقيشة التي عثر عليها هناك أثناء تشييد مبنى العدالة في فترة الاحتلال، والتي نفذت على لوح من الرخام الأبيض مقاساته كالآتي : الارتفاع 0,90 م ،العرض 1,63 م، السمك 0,10 م .

و نص الكتابة مترجما :

مخصص لنصر اوغسطوس

.....

.....

---

[152] Vars(Ch), Ibid, p 90.
[153] Vars(Ch), Ibid, p 90.
[154]
[155] Chabassiere. Op. cit. p 27.

لوكيوس كورنليوس فرونتو بروبيانوس ابن لوكيوس من قبيلة كويرينا .... عضو بمجلس المستعمرات الأربع، الفلامين الأبدي للإمبراطور المؤله انطونين الأكبر (كراكلا)،أعطى وأهدى التمثال الذي وعد مع البناية ذات الأعمدة الرباعية التي كلفته مبلغ ثلاثين ألف سيسترس على شرف تقلده رتبة الفلامينيكا، بالإضافة إلى مبلغ ثمانين ألف سيسترس صبها نقدا في خزينة المدينة وعشرين ألفا للمجلس وعدة تبرعات أخرى لفائدة وطنه، وبمناسبة هذا الإهداء أقام عروضا ووزع الطعام بالمسرح"[156].

وكما توضحه هذه الكتابة فان هذا المعبد بني بين سنوات 218 م و222م من طرف شخصية سامية بالمدينة، كما انه إذا ما احتكمنا إلى اللقى الأثرية حوله لا يقل فخامة وعظمة عن معبد فينوس مثلما تكشف عنه إحدى قطع الإفريز التي كانت تعلو أعمدة ضخمة وجدت كلها بجانب المعبد، هذه القطعة من الإفريز بطول 4,50 م لازالت موجودة إلى اليوم بالحديقة الأثرية قرب المسرح الروماني رفقة أجزاء الأعمدة العملاقة.

وفي الجهة المقابلة لهذا المعلم، على الضفة الشرقية للوادي كان ينتصب معبد ثالث لم يعثر بمحيط موقعه أثناء بناء منزل السيد نيللي Nielli (قبالة مجلس القضاء)على أي كتابة تحدد هوية الإله الذي بني من اجله، ولم يعثر سوى على أعمدة وتيجان وأفاريز وعدة قطع معمارية أخرى تنم عن مهارة هندسية فائقة[157].

معبد بلون :

يقع هذا المعبد مكان المستشفى المدني سابقا، دار العجزة و المسنين اليوم ، و يحتل هذا المعلم الذي يعد مركزا لاتخاذ القرار العسكري خصر الجبل، بحيث يشرف على رؤية جيدة للمدينة وظهرانيها، فموقعه مقابل تماما لموقع معبد جوبتير كما هو مبين في الشكل

حتى أن الفرنسيين غداة احتلالهم المدينة كانوا قد بنو هناك مركزا للمراقبة أطلقوا عليه اسم حصن اورليون Fort d'Orléans.

---

[156] Vars. Op. cit. p87.
[157] Vars. ibid. p114.

و كغيره من المعالم القديمة فان هذا المعبد لم يسلم هو الأخر من يد التخريب الاستدماري دونما عناية بالتاريخ الذي يضمه بين حجارته، ولم يعثر إلا على كتابة نقشت على قطعة رخام يحتمل أنها كانت تشكل إفريزا بأحد مداخل المعبد[158].

و نصها مترجما :

مخصص لبلون اوغسطوس

سكستوس فليكس ابن كوينتوس كاهن الإلهة بمساعدة أبنائه بروكولوس وتريونبال وهما أيضا كاهنين، أعاد بناء المعبد من نفقاته مع كامل زينته وطلاءه"

كما عثر سنة 1860م على نقيشة نذرية بجوار الخزانات الكبيرة تحتوي على أثار أقدام متعاكسة في إشارة إلى الذهاب والإياب، ويبدو أن احدهم قد نذر في حال عودته سالما غانما من الحرب أن يقدم قربانا للإلهة و نص الكتابة مترجما "مخصص لبلون اغسطس. بوبليوس ا...يوس فليكس أتم نذره بمحض إرادته "[159]

معبد ميثرا :

هذه العبادة ذات الأصل الفارسي والتي انتشرت في بداية القرن الأول في كامل أنحاء الإمبراطورية شكلت منافسة قوية للعبادات التي كان يعرفها الرومان، وكان انطنينوس التقي من بين أكبر الأباطرة الذين شجعوا على انتشار هذه العبادة، حيث جسدت شخصية ميثرا دور المنقذ للبشرية بامتطائه للثور ثم ذبحه حتى يسمح دمه المسفوح على الأرض بانبجاس جميع أنواع الكائنات الحية، هذه الرمزية القوية والبطولة الخارقة هي التي ألهمت خيال الشعب الروماني واستحوذت على مشاعره وجعلته يأخذ طريقه إلى معبد ميثرا كالمذهول، وقد تميزت أطوار هذه العبادة بتعقيدات وتفصيلات يطول شرحها.

وقد وجد معبد ميثرا بروسيكاد على السفح الشمالي لجبل بويعلى مقابل مبنى البريد المركزي (الشكل46)،إذ عثر في ذلك الموقع على بقايا معمارية متمثلة في أعمدة رخامية وتيجان كبيرة دلت على وجود معبد تحت الأرضي هناك[160]، بالإضافة إلى العثور على عدة لقى تتعلق بعبادة ميثرا سلمت من طرف شيراك ودي نوبللي[161]، وهي التي توجد اليوم على مستوى المتحف

---

[158] Vars. ibid. p 122.
[159] Vars. ibid. p 122.
[160] Gsell(St), MAA, Tome II, p
[161] Chabassiere. Op. cit. p 26.

البلدي روسيكاد، حيث نرى شخصية المنقذ للبشرية يمتطي ثورا بالاضافة الى تماثيل أخرى صغيرة الحجم تمثل التعاقب الأبدي لليل والنهار وكذا تعاقب الفصول الأربعة والزمن اللانهائي.(الصورة 20)

المسرح الروماني :

بفضل الرودوم الناتجة عن تراكمات وانزلاقات الأتربة من الجبل فقد نجا المسرح من آلة التدمير والتخريب التي طالت على يد الهندسة العسكرية مختلف المعالم التي وجدها الاحتلال بالمدينة، (الشكل 21) ولو أن هذه الآلة قد مست جانبا منه لاحقا عند تعرية المدرجات، حيث أخذت جميع الحجارة من اجل استعمالها في المنشات الجديدة ولم يتبق من المدرج الأوسط سوى سبع أو ثماني قطع من الحجارة المنحوتة[162]، وكذلك إزالة بقايا الواجهة الأمامية والمنصة من اجل بناء المدرسة[163] (ثانوية النهضة حاليا).

يقع المسرح على السفح الشرقي لجبل بويعلى بحيث تكون الواجهة مقابل الدوكمانوس كما سبقت الإشارة إليه من قبل (الشكل)، بينما تتجه وجوه المتفرجين ناحية الشرق ويأخذ شكل نصف الدائرة، بحيث يصل أقصى عرضها إلى 82،40 م وطاقة استيعاب مابين خمسة إلى ستة ألاف متفرج وهو بالتالي اكبر من مسرحي جميلة وتيمقاد الذين يصل أقصى عرض لهما إلى 63،60 وطاقة استيعاب لا تزيد عن أربعة ألاف في أحسن الأحوال وكذلك قالمة الذي لا يزيد عن 58،05 م عرضا[164].

ما عدا المنصة والواجهة الأمامية وحجارة المدرجات فان جسم المسرح يكاد يكون كاملا (الشكل 21 ب)

تم تهيئة مكان المدرج cavea في الصخر على شكل مقاطع متدرجة (الشكل الصورة 21) بينما بنيت الأجزاء المتبقية بواسطة الحجارة المنحوتة وحجارة الملء وزينت بمختلف أنواع الحليات الرخامية[165]. بحيث يمكن الاعتقاد أن هذا المسرح كان في القديم تحفة معمارية لا تضاهى.

---

[162] Gsell (St). MAA. p192.

[163] Bertrand L. monographie du théâtre romain de Philippeville , in RSAC 1908. p 6.

[164] Gsell (St). Op. cit. pp 192_197.

[165]

يحيط الجزء العلوي من المدرج بشكل نصف دائري سلسلة تتكون من أكثر من عشرين غرفة بطول 4،50 م وعرض 3م، تعلوها قباب بعضها ينحني باتجاه الاوركسترا وبعضها الأخر نحو الخارج، وهو ما حدا بغزال إلى افتراض وجود مدرجات علوية ربما من الخشب فوق تلك القباب المنحنية باتجاه الداخل، حيث يوصل إليها عن طريق أربعة أدراج على القباب المنحنية في الاتجاه الخارجي[166] .

يوجد خلف هذه الكتلة من الغرف رواق الخروج حيث كان المتفرجون يغادرون من عدة أبواب vomitoria ، هذا الرواق مكشوف ومقطوع في الوسط بجدارين يفترض أنهما كانا يشكلان هناك غرفة كبيرة sacellum حيث ينتصب تمثال ضخم، بينما من الداخل فيوجد رواق مقبب تخترقه ستة أدراج للوصول إلى مختلف أقسام المدرج. (الشكل 22)

يذكر فناك أن بعض الأجزاء الأمامية كانت تعرضت إلى انزلاق أرضيي خلال القرون الماضية ما أدى إلى اختفائها[167]، وهو ما نلحظه جليا في المخطط الذي أعده رافوازي الذي يعد أفضل المخططات بالنسبة لمسرح روسيكاد، حيث نرى جزءا من الجدار النصفي الخاص بالمنصة palpitum و الذي يتشكل من فجوات نصف دائرية ومستطيلة بالإضافة إلى المكعبات الحجرية المثقوبة والمخصصة لاستقبال سواري تستعمل لحمل الستائر كذا نرى جزءا من المنصة وحائط الواجهة[168]. (الشكل 22 ب)

يحتمل أن المسرح بني على عهد الإمبراطور أدريان إذ أن أقدم ما تم العثور عليه في هذا الجانب لا يزيد عن هذا التاريخ، حيث عثر محافظ المتحف جوزيف روجي في الزاوية الشمالية الغربية من المسرح على قطعة برونزية (ميدالية) بقطر 3،2 سم عليها صورة الإمبراطورة "صابين" وعلى يسار الصورة توجد الكتابة التالية: SABINA. AVGVSTA. ADRIANI.AVG .P .P أما في الظهر فتوجد صورة امرأة جالسة ترفع يدها الأيمن إلى فمها مع وجود كتابة:PVDI[169].

بينما تفيد مختلف الكتابات التي عثر عليها سواء بالمسرح أو في أماكن أخرى والتي يوجد اغلبها اليوم بمتحف اللوفر بباريس[170] ، بان المسرح عرف عدة أعمال ترميم وتزيين على

---

[166] Gsell (St). Op. cit. pp 192_197.
[167] Fenech. Op. cit. p 24.
[168] Gsell (St), MAA, pp 192-194.
[169] Roger(Ph), IN RA, p392
[170]Bertrand L, op. cit. pp 6-3.

فترات مختلفة خلال القرنين الثاني والثالث، من بينها ما قام به ايميليوس بالاطور الذي انفق عشرة ألاف سيسسترس موجهة لأعمال تزيين المسرح *in opus cultumve theatri* ، وكذلك ما قام به احد الشخصيات السامية بالمدينة ويدعى فابيوس فرونتو Fabius Fronto والذي كان يشغل حينها منصب (يور دي كوندو) حين انفق ألف دينية أي خمسة ألاف سيسترس على الأعمال التي أنجزت بالمسرح سنة 225م، وتشير كتابة أخرى إلى أعمال كبرى لتحسين المسرح في أماكن محددة منها طلاء ثلاثة عشر قبة وتزيين القسم العلوي للمدرجات بأفاريز من الرخام ونصب دلفنين بمدخلي الرواق وبناء شرفات رخامية، كما يوجد نص أخر شبيه بالنص السابق إلا انه جد مشوه[171].

كما عرف المسرح في فترة الاحتلال عدة حفريات بغر ض إزالة الردوم ، أنجز الجزء الأول منها تحت إشراف السيد جوزيف روجي من سنة 1859م إلى غاية 1861م[172]، بينما أتمت مصلحة المعالم التاريخية تعرية مختلف الأجزاء المتبقية على ثلاث مراحل، سنة 1883م و1891م وأخيرا 1907م مع ترميم بعض الأجزاء على غرار المدرجات والقسم العلوي من المسرح[173].

وفي سنة 1899م قام كل من لويس برتران وجول شاباسيار بانجاز تنقيبات بالقرب من جدار ثانوية النهضة حاليا بغية الوصول إلى تحديد نقطة البداية للمدرج، حيث عثرا على مستوى عمق 4،10 م[174] على أولى حجرات المدرج[175]، وشبيه بما قام به برتران وشابسيار ما قامت به مديرية الثقافة للولاية سنة 2010 عند مباشرة أشغال الشطر الثاني من أعمال التهيئة والترميم الجارية على مستوى هذا المعلم، حيث تم العثور على هذه المدرجات صدفة أثناء الحفر على مستوى الاوركسترا من اجل بناء غرف تحت أرضية خاصة بالفنانين واللوازم التقنية (الصور 22، 23، 24)، وهو ما أدى إلى وقف الأعمال والاستعانة بالمركز الوطني للبحث في علم الآثار، هذا الأخير الذي أرسل فريقا للقيام بتنقيبات أثرية من اجل تحديد موضع المدرج الأوسط بدقة على ضوء هذه الاكتشافات، وجدير بالذكر أن هذا المدرج عرف ترميمات سابقة أدت إلى تشويه صورته الأصلية تماما. (الشكل22 أ،ب،ج)

---

[171] Vars. Op. cit. pp 75_ 76.
[172] Roger(Ph), op. cit, p392
[173] Bertrand L, op. cit. p 7.
[174] Bertrand L, ibid. p 7.
[175] Chabassiere. Op. cit. p 24.

المدرج Cirque:

كان هذا المعلم ليكون مفخرة المدينة وتحفة لا تقدر لو أن يد العناية أنقذته من همجية الوندال الجدد، إذ لم يكن مبررا على الإطلاق وتحت أي ظرف القيام بعمل تخريبي كهذا[176]، في وقت كان فيه هذا الصرح في حالة جيدة من الحفظ كما يشهد به فناك الذي كان ضمن البعثات الأولى التي أشرفت على احتلال المدينة إذ يقول عنه "كان في حالة جيدة إلى درجة يخيل إليك أن المتفرجين غادروا بالأمس فقط مقاعدهم التي بالكاد لفحتها القرون بلون القدم ".(الشكل 23 أ، ب)

ويعد هذا المدرج من بين الأنواع النادرة في جميع أنحاء الإمبراطورية التي توفر ألعابا برية ومائية على السواء، إذ بني فوق مجرى واد صغير (شعبة الزعرورة) في الناحية الجنوبية الشرقية للمدينة على الجانب الخارجي من السور الذي يمر قريبا منه، والذي أيضا كان قد بني من الحجارة التي اقتلعت عن آخرها من هذا المعلم سنة 1845م على يد الهندسة العسكرية، بحيث لم يتبق سوى ذلك الموضع الذي كان ينتصب عليه (الشكل 46) وتلك الرسومات – لحسن الحظ – والمخططات والمقاطع التي قام بانجازها المهندس "امابل رافوازي" والتي تعد المصدر الوحيد عن هذا المعلم.

لقد كانت الغاية من بناء المدرج على دفتي الوادي هي التمكين عن طريق تقنيات في

نظام قنوات المياه من جلب الماء من المجرى وإغراق ميدان القتال لتوفير الألعاب المائية في لحظات قليلة.

وكما اشرنا إليه فانه لا يوجد مثل هذا النوع من المدرجات في جميع الإمبراطورية الرومانية سوى ثلاثة نماذج أخرى بالإضافة طبعا إلى الكولوزيوم بروما وهي مدرجات كل

---

[176] ويعبر شارل فار عن خيبة أمله نتيجة هذا العمل الإجرامي في حق التراث الإنساني والعلم بالقول انه لم يفهم على الإطلاق سر هذا السلوك الوندالي في وقت أن ظروف الاحتلال لم تكن بحاجة إلى أي عمل استعجالي من هذا النوع فلم تكن هناك أخطار حقيقية من طرف الأهالي الذين انسحبوا بعيدا كما أن كلفة اقتلاع المدرج قد تساوي نفس الكلفة لو أن الثلاثة ألاف جندي الذين سخروا لهذا العمل كلفوا بجلب تلك الحجارة من المقالع القريبة، ويعتبر ان عملا كهذا وصم بالعار الانتصارات العسكرية وشان حضارة فرنسا التي جاءت لتعيد إحياء حضارة الأجداد .(يراجع .Vars. Op. cit. pp 125-126)

من كورانثيا Corinthe وسيزيك Cyzique وبرغام Pergame[177]، فهل كان الدافع وراء تخريب هذا المـــعلم ومحو وجوده تماما هو دفن عظـــمة روسيكاد واغتيال كبريائها الجامح ؟.

و عموما فان المدرج حسب رسومات ومخططات رافوازي يتخذ شكلا اهليلجيا بحيث يصل أقصى طول محور الحلبة أو ميدان القتال إلى 56م بينما يقدر طول محور العرض ب30 م، يحيط الميدان جدار pondium بارتفاع 4،65 م [178]، بينما يصل سمك المبنى منه إلى الخارج إلى 21م والذي هو عبارة عن أساسات تتكون من ثلاثة أروقة مقببة مختلفة الأطوال بحيث تزداد ارتفاعا كلما اتجهنا إلى الخارج. (الشكل 24)

يتدرج من أعلى هذه الأساسات إلى جدار الحلبة اثنا عشرة صفا من المقاعد مقسمة إلى قسمين بواسطة ممر عرضه 1،50 م، قسم علوي يتكون من خمسة صفوف والبقية للقسم السفلي وتصل طاقة استيعابها إلى 8000 متفرج، يقطع هذه الصفوف ثمانية سلالم أو أدراج على مسافات متناسبة وتقابل سلالم محور العرض مداخل أو مخارج تفضي إلى الأروقة المقببة ومنها إلى سلالم نصف دائرية خارج المبنى[179].(الشكل 23 ب)

يصل مجموع ارتفاع المدرج إلى 12م وترتفع المداخل إلى 8م بينما يقدر عرضها 5م يزين محيطها تماثيل رخامية جميلة[180]. (الشكل 25)

لا نملك أية معلومات حول تاريخ بناء هذا الصرح المميز ويمكن الاعتقاد انه بني خلال القرن الثاني للميلاد، وهو ما تدلنا عليه إحدى الكتابات التي عثر عليها هناك، والتي تؤرخ بسنة 187م، وتتعلق بشخص يدعى " ماركوس كوسينيوس كلرينوس أقام على نفقاته الخاصة، إجلالا للإمبراطور، يوما من الألعاب في المدرج "ثم ختم يقول " سوف تسدل المظلة (velarium) وسيكون هناك رش منعش للعطور" [181].

الحمامات :

لم تترك لنا همجية الهندسة العسكرية ما يمكن الاستناد إليه لإثبات وجود حمامات بالمدينة والمعلومات المتوفرة لدينا بشان هذا المرفق الحيوي قليلة جدا، بحيث أن المراجع التي أمكن

---

[177]Vars. Op. cit. p 129.

[178] Gsell (St), MAA II ,p 201.

[179]Vars. Op. cit. p 130.

[180] Emile Lederman. Philippeville et ses environs. P 15.

[181] Vars, op. cit, p 133.

الوصول إليها لم تسعفنا سوى بإشارات لا تكاد تفي بالغرض، من ذلك ما أورده فناك والذي كان مخطئا في بداية الأمر عندما اعتقد بان الخزانات الموجودة غرب الطريق الرئيسي للمدينة – والتي سبق الحديث عنها عند التعرض لمعبد فينوس حيث ذكرنا أن هذا المعبد قد بني فوق خزانات كبيرة – عبارة عن حمامات ضخمة[182]، وربما يكون التبس عليه الأمر بسبب عدم جلاء هذا المعلم حينها، لكنه قدم لنا بعد ذلك ما يمكن الاعتقاد بأنه دليل على وجود احد الحمامات بالجهة الشمالية الغربية للمدينة بجوار معبد ميثرا الذي أسلفنا الحديث عنه، وتحديدا بملكية السيدان شيراك ودونبللي جنوبا من طريق زيغود يوسف بالجوارات القريبة من مقر مديرية المجاهدين اليوم، ويتمثل هذا الدليل في قطعة فسيفساء كبيرة يقول عنها فناك " أنها تبدو من بعيد كما لو أنها رسم على الخزف"[183]. (الشكل 26)

هذه القطعة التي يحدد فناك أطوالها بـــ 4 م^2، أعاد رسمها دولمار بالألوان الأصلية ضمن

لوحاته عن روسيكاد بالإضافة إلى انجازه لرسومات ومخطط للمبنى أو بقايا المبنى حيث وجدت قطعة الفسيفساء، ونلاحظ وجود تجويف أو محراب نصف دائري بارتفاع 3 م وعرض 0،80 م[184]، مع وجود جدارين كبيرين ينطلقان في الاتجاه المعاكس بشكل منفرج، بينما نرى على يسار قاعة الفسيفساء مدخلا يفضي إلى قاعة صغيرة مستطيلة ويمينا من هذه الأخيرة توجد قاعة أخرى اهليلجية الشكل، وكما يتضح لنا من خلال الرسومات في نفس اللوحة فهناك قاعة تحت الأرض واضح أنها نفس القاعة ربما التي يتحدث عنها فناك قائلا" بقايا قاعة حمام حيث نرى وجود أفران مبنية بالآجر لتسخين الماء"[185] (الشكل 27)

و أخيرا فان شارل فار يشير انه عاين بنفسه وجود قناة لنقل المياه على مسافة معتبرة مصنوعة من الرصاص كانت تنقل الماء إلى هذا الحمام الذي أثبتت قطعة الفسيفساء التي سبق الحديث عنها ومختلف القطع الأثرية التي عثر عليها هناك من الرخام الفاخر من تماثيل وقطع معمارية[186]، مدى فخامته والعناية الفائقة التي أوليت لهذا المرفق المتجدر في حياة المواطن

---

[182]Fenech. Op. cit. p29.

[183]Fenech. ibid. p 36.

و يوضح فار أن هذه الفسيفساء صنعت وفق طريقة يطلق عليها الرومان (pavementum vermiculatum) أي وضع المكعبات بطريقة الزجاج المحبوك (Vars. Op. cit. p 65.)

[184] Vars ch, op. cit, p 64 .

[185] Fenech. Op. cit. p37

[186] Vars. Op. cit. p65.

الروماني، وهو ما يثبت أيضا مرة أخرى رونق وجمالية العمارة التي حظيت بها ر وسيكاد خلال الفترة الرومانية.

نافورة المياه العملاقة :

و حتى لا نبتعد أكثر عن العمارة ذات الطابع الترفيهي وللتدليل على الكلام الذي سبق، بودي أن أقدم هنا وصفا لنافورة المياه الضخمة والتي عثرت عليها إدارة الأشغال العمومية أثناء قيامها ببناء جدار سنة 1840م في الجهة الشمالية لساحة البحرية (أول نوفمبر حاليا) (الشكل 46)، وذلك بغرض صد أمواج البحر[187]، ففي ذلك المكان تكشف شكل بناء غريب سرعان ما بدأ يتضح لتسفر أعمال الحفر في النهاية على نافورة مياه كبيرة غاية في الإتقان، وهنا مرة أخرى وأخرى تتدخل الهمجية والجشع الكولونياليين لاغتيال الذاكرة ، مرة أخرى ودون أن نتمكن من التماس ادني مبرر تقوم إدارة الأشغال العمومية بتدمير وببساطة ولامبالاة عملا فنيا باد جدا أن مشيدوه عصروا فيه فكرا خرافيا وبذلوا لبنائه جهدا جبارا.

فقد قام العمال بتفكيك هذا العمل الفني المتميز الذي كان في حالة جيدة من الحفظ ولم يكن يتطلب ترميمه الكثير من العناء وإعادة استغلاله لنفس الغرض بدلا من استغلال مواد بنائه في بناء الجدار وردم الأجزاء المتبقية كمن يحرص مستعجلا على دفن تاريخ خشية أن يبعث من جديد.

تتكون هذه النافورة من درج دائري يرتفع بـــ 4 م بشكل هرمي عن سطح الأرض، وينتهي بسطح قطره 11،80 م ، يتشكل هذا السطح من أربع أحواض إجاصية الشكل تلتقي في الوسط عند ارتفاع مشترك مكونة حفرة مربعة ينبجس منها الماء عبر خمسة ثقوب إلى الأعلى نحو ارتفاع هائل، ثم تنحني لتصب في الأحواض الأربعة ثم يفيض منها عبر ثقوب الامتلاء ليسيل بشكل متدرج فوق الثمانية عشر درجة الدائرية في الجسم الهرمي، ثم ينتهي في حوض أخير ومنه إلى البحر،[188] يحدث ذلك كله في فنتازيا مثيرة ومدعاة فعلا ليقبل عليها المرء في مسائي الصيف ويستمتع قبالة البحر بما تذره عليه هذه النافورة من هواء منعش، ولا شك أن هذه النافورة كانت تستقطب في القديم في ساحتها كما هو الشأن اليوم الكثير من الناس لقضاء مساء أكثر هدوء وأطيب هواء. (الشكل 28)

---

[187] Bertrand L, notes et documents sur Rusicade, in RSAC 1906, p 81.
[188] Bertrand L, op. cit , p 81.

وأخيرا فان هذه النافورة العملاقة كانت تتزود من مياه الخزانات الموجودة حاليا تحت بناية المسرح الجهوي وهو ما يؤكده لنا "شاباسيار" الذي تمكن خلال سنة 1859م إلى 1860م من تعقب أثار قناة للمياه على مسافة 105 م باتجاه الجنوب الغربي انطلاقا من ساحة البحرية، هذه القناة كانت تعمل على تزويد بالماء مختلف المرافق التي كانت قائمة هناك ومنها، إضافة إلى نافورة المياه، تلك المخازن المقببة التي سنتعرض للحديث عنها لا حقا[189].

الفيلات : villae

على طريق روسيكاد سطورة كانت توجد قديما مجموعة هامة من المباني المختلفة، فبالإضافة إلى الأضرحة التي قدمنا الحديث عنها هناك أثار لاستيطان روماني تمثل في مجموعة من الفيلات وحمامات مبلطة بالفسيفساء وخزانات متعددة الأحجام وأبراج للمراقبة وجدران وكتابات ...الخ[190]

وعموما فان هذه الضاحية تتميز طبوغرافيا بتضاريس جبلية شديدة الانحدار في كثير من المواطن، والمناطق المستوية التي تسمح بإقامة مباني عليها قليلة جدا، ومع هذا فقد استغل الرومان كل ما أمكن من هذه الجهة المتميزة بجمال موقعها الساحر وإطلالها على أفق واسع بمناظر مشرفة على المدينة وعلى امتداد كامل الخليج النوميذي لبناء مقرات سواء للإقامة الدائمة أو لقضاء الإجازات وحتى للاستراحة خلال فترة العودة إلى الوطن الأم بعد سنوات طوال من الخدمة في الجيش.

هذا وتعد ملكية السيد جورج لوزيور من أثرى مناطق هذه الجهة بالمادة الأثرية أو على الأقل أكثرها إمدادا لنا بهذه المادة، وربما يعود السبب في ذلك إلى شساعة المساحة التي تحتلها هذه الملكية الممتدة ما بين وادي المودر شمالا ووادي بوفرقة جنوبا أما من الناحية الشرقية فيحدها البحر ومن الجنوب منطقة بني مالك وتبعد هذه الملكية عن المدينة ب 800 م بينما عن ميناء سطورة ب 3 كم وبالتالي فهي تحتل في هذه الضاحية أفضل المناطق على الإطلاق.[191]

و بزعم المهندس لانوي دو بيسي Lannoy de Bissy الذي ذكر برتران انه تمكن خلال سنة 1868م من جمع بعض الوثائق ؟ خولت له الاعتقاد بان فيلا رومانية كانت قائمة بهذه الملكية تعود إلى القنصل الروماني والمؤرخ الكبير صالوست.

---

[189] Chabassiere. Op. cit. p 22.
[190] Bertrand L, op. cit , p 71.
[191] Bertrand L, op. cit, p 74.

و في سنة 1902م تمكن برتران من العثور على كتابة بهذا المكان لكنها مشوهة ولا توفر أية معلومات مؤكدة بشان هذا الزعم، هذه الكتابة المشكلة من ثلاثة حروف على لوح من الرخام منفذة بشكل جيد، 9 سم لكل حرف ...VST....

بالاضافة إلى العثور أيضا في وقت سابق خلال مختلف الأشغال والحفريات التي جرت بهذه الملكية على كتابة أخرى بقاعدة تمثال: *praeses provinciae Numidiae Consularis*

و عموما فإننا لا نعلم بشكل مؤكد ما إذا كان صالوست قد بنى لنفسه أثناء وجوده على رأس مقاطعة نوميذيا بهذه الضاحية، حيث حتما كان يمر من هناك قافلا إلى موطنه الأصلي، مسكنا لأخذ قسط من الراحة قبل الرواح أو الغدو، لكننا لا نستبعد مثل هذا الأمر فلا الإمكانيات المالية تعوزه ولا حتى الكفاءات التي كانت تحت تصرفه، خلا أن مكانا كهذا لا يفكر كل من يراه إلا بالإقامة فيه ولو إلى حين، وهو ما يجعلنا نفهم بسهولة وجود الكثير من الفيلات بهذه المنطقة.

ومنها تلك الفيلا التي قدم دولمار مخططا عنها ضمن لوحاته ووصفا من خلال الدراسة التي أعدها عن سطورة، إذ يؤكد قبل ذلك ما سبقت الإشارة إليه عن وعورة تضاريس المنطقة قائلا "الأراضي المستوية بأنحاء المكان نادرة جدا لكن السكان القدامى أحسنوا استغلال النقاط التي من الناحية الفيزيائية قد تسمح بالبناء عليها، بحيث أننا نجد سلسلة من الفيلات بشكل مستمر بمحاذاة الطريق، الجدران سيئة البناء من هذه المساكن تعرضت للردم ولا تتجاوز السطح إلا قليلا، اغلبها (المساكن) يتوفر على حمامات وقاعاتها مبلطة بالفسيفساء .."[192]

و هذا ما ينطبق تماما على هذه الفيلا التي خضع مخطط بنائها بشكل حتمي لتضاريس الموقع، إذ أنها بنيت على حافة مجرى مائي وعلى مشارف انحدار شديد على مسافة تبعد بحوالي 500 م باتجاه روسيكاد عن وادي القنطرة (وادي غريفا).(الشكل 29 أ)

و بحسب دولمار فان بعض جدران هذه الفيلا كان يحافظ وقتها (سنة 1840م) على علو من 5 م إلى 8 م.(الشكل 29 ب)

و كما هو ملاحظ في المخطط فان هذه الجدران تشكل مجموعة من القاعات غير منتظمة الشكل، اثنان منها مستطيلة بأطوال (8،10 م × 3،30 م) أما سمك الجدران فيتراوح ما بين 0،80م و1م.

---

[192] De Lamare. Op. cit. p 156.

يمكن الاعتقاد أن هاتين القاعاتين من خلال الزوايا المستديرة وطريقة تلبيس الجدران عبارة عن خزانات مائية استخدمت في نفس الوقت كأساسات لحمل طابق ثان فوقها.

يوجد أمام هذه القاعات كما هو مبين في الشكل جدار بسماكة 2م بني فيه تجويفين نصف دائريين على شاكلة المحراب بارتفاع 4،50م وعرض 2م ، هيئ بالجدار الخارجي لأحد التجويفين مقعد ملاصق بارتفاع 50 سم وعرض 30 سم حيث يمكن الجلوس هناك مقابل البحر، بينما وجد في التجويف الأخر ما يمكن اعتباره نافورة ماء[193].

أمام هذا الجدار مجموعة من القاعات ذات الأشكال المختلفة احتوت أرضية إحداها على بقايا قطعة فسيفساء، وأمام هذه القاعة نجد حوضا مستطيلا حفر في الصخر (80،7 م ×50،5 م) وبعمق يتراوح مابين 1 الى 2م كان موجها لتربية الأسماك والظاهر أن العمق غير المنتظم لهذا الحوض قد تضرر بفعل انهيار الصخر الذي حفر فيه نتيجة ضربات الأمواج بالاضافة إلى انهيار بقية الأجزاء التابعة للمبنى هناك في البحر.

على أقصى يسار المخطط بعض القاعات الصغيرة أين تم العثور على موقد، وهو ما يدفع إلى الاعتقاد أن هذا الجزء من المبنى خاص بالمطبخ، بينما نلاحظ على اليمين من المطبخ قاعتين منفصلتين شبيهتين في تركيبتهما المعمارية بالقاعات الأولى الخاصة بالخزانات، أطوال إحداها وهي مستطيلة الشكل (50،4م ×6م) أما الأخرى فمربعة الشكل بطول كل ضلع 50،3م. "صحيح أننا لا نرى هنا إحدى تلك الفيلات الكبيرة والتي ترك لنا المؤرخون الرومان وصفا مدهشا عنها، فوعورة الأرضية وشكلها المضطرب لم يسمحا بتجميع كل العناصر اللازمة لتشكيل مسكن ريفي كامل ..... فقد اضطر المهندس إلى مجابهة صعوبة الميدان مما ناه به عن التصميم التقليدي، كذلك فإننا نجهل الأداء الوظيفي لأقسام هذه الفيلا بسبب الحفريات القليلة التي أجريناها هنا ونتيجة وجود معظم البناء تحت الردم وهو ما اضطرنا إلى وصف فقط البقايا التي لاحت لأعيننا" يقول دولمار.[194]

لا تعد هذه الفيلا الوحيدة في هذه الأنحاء فقد سبق وذكرنا أن هناك سلسلة من المساكن الأخرى على امتداد طريق روسيكاد سطورة، كما أن هناك قبل ذلك يتحدث أيضا عن وجود

---

[193] Vars. Op. cit. p 122.

[194] De Lamarc. Op. cit. pp 165-171.

مجموعة من المساكن على السفح الشمالي لبويعلى أي داخل النسيج العمراني للمدينة إلا أننا لم نجد أي وصف لهذه المساكن أو تلك فضلا على أن نجد بقايا لها، وهو ما اضطرنا إلى الاقتصار فقط على وصف الأنموذج الوحيد المتوفر والذي قدمه دولمار بشكل مستفيض .

المنشآت المائية :

كانت روسيكاد غنية برخامها وبروعة مبانيها لكنها أيضا كانت غنية بالماء، فقد عثر على العشرات من الخزانات المائية بمختلف أحجامها منتشرة في كل مناطق المدينة، فقد وجدت الخزانات الخاصة والخزانات العمومية والآبار وقنوات المياه الأرضية والقنوات المحمولة ونوافير الماء والينابيع، وكلها تدل على مدى تشبع روسيكاد بهذه الثروة التي يظهر أنها استغلت أحسن استغلال في الفترة القديمة، وأيضا حديثا عندما قام الفرنسيون في بداية الاحتلال بترميم بعضها واستغلالها مجددا في حياتهم اليومية، بل إن بعضها لازال مستعملا إلى اليوم وهو ما سنراه من خلال محاولتنا الحديث عن المنشآت المائية بروسيكاد.

من خلال ما ذكره فناك ومن خلال وصف دولمار نكتشف إن الروسيكاديين كانوا يستعملون خزانات خاصة لتخزين حاجاتهم من الماء، وقد كانت هذه الخزانات تستعمل في الوقت نفسه أساسات لإقامة المساكن عليها، وهو نفس الشيء الذي حدث بالنسبة لمعالم عمومية كما رأيناه سابقا مع معبد فينوس الذي شيد فوق خزانات عملاقة.

والظاهر أن هذه الخزانات تحت الأرضية إذا جاز التعبير كانت تتزود من مياه الخزانات الكبرى ومن المياه الجوفية و من خلال الينابيع التي تتميز بها المنطقة، فكثيرا ما كانت تتبجس المياه من باطن الأرض خلال أعمال الحفر حتى على مستويات عمق بسيطة، وذلك بسب وجود المدينة فوق ارض مساوية تماما لمستوى سطح البحر، وإذا علمنا أن المدينة كما أوردناه في بداية هذا الفصل قد بنيت في ما يشبه حوضا مفتوحا على البحر وأنها أيضا متموقعة على دفتي واد يقسمها إلى قسمين فانه يسهل علينا بعد ذلك فهم سر هذه الوفرة من الماء التي تتمتع بها المدينة.

لم تزودنا المراجع التي بأيدينا إلا بإشارات خاطفة إلى وجود هذه الخزانات الخاصة ما عدى طبعا ما قدمه دولمار في وصف الفيلا أنفا وكذلك ما قدمه لنا فار حول اكتشاف سنة 1891م لحافة بئر مصنوعة من الرخام الأبيض "لا زالت تحمل أثار الاحتكاك الناتج عن سحب السلسلة

أو الحبل مع وجود ثقوب محور البكرة عليها"[195]، أو ما أورده فناك عن وجود هذا النوع من الخزانات على السفح الشمالي لبويعلى، وما أشار إليه دومارسيي كذلك قائلا " عثرنا على العديد من الخزانات صغيرة الحجم عموما وأيضا أساسات مباني اقل أهمية على المنحدر الغربي لجبل سكيكدة أسفل مبنى المستشفى العسكري "[196].

لكننا في مقابل ذلك وجدنا إسهابا في الحديث عن الخزانات العمومية ذات الحجم الهائل مضافا إلى ذلك أن بعضها لا يزال ماثلا أمامنا إلى اليوم شاهدا على البراعة الرومانية في استغلال هذه الثروة الحيوية .

خزانات بويعلى :

في الاتجاه الشمالي الغربي من المسرح الروماني وعلى حوالي مسافة 500 م يوجد مبنيي الخزانات العمومية حيث يبعد كل واحد منهما عن الأخر بمسافة حوالي120م.(الشكل 30)

احد هذه الخزانات يأخذ شكلا اهليلجيا بطول 52م وعرض 37.50 م، مقسم إلى سبع غرف أو أحواض ذات أشكال مختلفة بعمق 10.60 م .(الشكل31 أ، ب)

و كما هو مبين في الأشكال فان اكبر هذه الأحواض هو الحوض الواقع بالجهة الغربية من الخزانات، وهو الذي تم تجهيزه بمصفاة كانت ترتكز على دعامات بالمحيط الداخلي للجدران كونه يستقبل مياه القناة مباشرة[197]، ويأخذ شكلا نصف دائري، وتر قوسه بطول 23.65 م، يفصل بينه وبين الحوضين الذين يليانه جدار بسمك 1.50 م، هذان الحوضان ذوا شكل مستطيل، نلاحظ أن المستطيل الجنوبي منتظم الشكل بأطوال(12.40 م × 10.50 م) بينما أجريت تعديلات هندسية على الجدار المسند إلى الهضبة في المستطيل الجنوبي، هذه التعديلات نجدها في الواقع على امتداد كامل الجدار الجنوبي للمعلم ككل، وتتمثل في أشكال نصف دائرية بنيت بشكل مكثف من اجل مواجهة ثقل الأرض الناجم عن بناء الخزان على المنحدر[198].

---

[195]Vars. Op. cit. p 67.

[196] De Marceilly. Op. cit. p 27.

[197]Fenech. Op. cit. p 27.

[198]Fenech. Op. cit. p 26.

يلي هذين المستطيلين مستطيل اكبر (15.90 م×9.20م) يسنده حوض بيضاوي الشكـــــل (9.90م ×6 م) ولإتمام الشكل الاهليلجي هناك حوض سادس يقترب من نصف الدائرة (16م×8.70م) وأخيرا حوض صغير مثلث الشكل (6م ×4م).

تتصل هذه الأحواض فيما بينها بواسطة فتحات كبيرة (2م×1.30م) تم تهيئتها في عمق الجدران بهذا الحجم كي تسمح أيضا بانتقال الأشخاص في كل أرجاء المعلم خلال أعمال الصيانة.[199]

يوجد مأخذ المياه أسفل بئر بنيت على الشمال من الحوض البيضاوي، هذه البئر لها نفس العمق ومخترقة بقناة من الرصاص تفتح بواسطة صنبور[200](الشكل 32). لتتواصل على مسافة 120 م في الاتجاه الغربي الشمالي الغربي مع خزان أخر عملاق بأطوال (60م × 30م).

أضيفت لهذا المعلم خلال عملية الترميم التي جرت سنة 1845م سبع قباب[201]،(الصورة 25) وأعيد استعماله في تزويد المدينة بالمياه خلال الفترة الأولى للاحتلال، ولا زال موجودا في حالة حفظ جيدة إلى اليوم إلا انه لم يعد مستعملا بسب انعدام الصيانة وأيضا بسبب خلق شبكة مياه جديدة بالمدينة.

الخزان الثاني على العكس من الأول ذو شكل مستطيل وغير مقسم، مقاسات فضاءه من الداخل (52.45م ×25م)، دعمت جدرانه الداخلية على امتداد كل 6.50م بدعامات كبيرة أما القبة المضلعة فقد كانت ترتكز على أربعة أعمدة تتوسط فضاء الخزان.(الشكل 33) (الصورة 26)

هذا الخزان كان هو الأخر قد استفاد من عملية ترميم في فترة الاحتلال لاستعماله لنفس الغرض و لا زال مستعملا إلى اليوم إلا انه يتغذى من مصادر جديدة.

تتزود خزانات بويعلى من مياه وادي بني مالك و تحديدا بمنطقة سيدي احمد (الشكل 34) بواسطة قناة أرضية يصل طولها إلـــــــى 3580 م محاذية سفوح المرتفعات الغربية لبويعلى

---

[199] Vars. Op. cit. p 69.
[200] Vars. ibid. P 69.
[201] Vars. ibid. P 69.

بشكل يضمن لها الحفاظ على الميل اللازم من اجل إيصال المياه، كما أنها كانت مزودة بنفاسات من اجل التهوية وأعمال الصيانة[202]. (الشكل 35)

هذه القناة كانت بعض مقاطعها واضحة للعيان في السنوات الأولى للاحتلال[203]، ويذكر شاباسيار أنها كانت كذلك سنتي 1847م و 1848م لكننا لا نجد لها أثرا اليوم، بينما لا زالت معالم نقطة تجميع الماء قائمة.

يتكون مكان تجميع الماء الذي بني في المفرق أعلى وادي بني مالك بمنطقة سيدي احمد

-كما هو مبين في المخطط – من سدين صغيرين يسبق احدهما الأخر، بالاضافة إلى سد ثالث بني على احد الروافد التي تغذي الوادي. (الشكل 36)

بني الأول بحجارة منحوتة متناسقة، يوجد على يمين منه خزان على شكل بيضاوي، حيث يتم تخزين مياه السد الثاني، و التي تنتقل إليه عبر قناة موصولة بمصفاة في الزاوية الغربية من الخزان، لتنتقل منه بعد ذلك إلى غرفة صغيرة على يسار السد الأول، والتي تتلقى بدورها مياه السد الثالث لتنقل عبر القناة الكبيرة إلى خزانات المدينة. (الشكل 37)

كانت خزانات بويعلى موصولة بخزان ثالث كبير الحجم هو الأخر، هذا الخزان لحسن الحظ لا زال موجودا ومستعملا لكن ليس لنفس الغاية، فبعد أن استعمل اثر ترميم بعد أجزاءه في فترة الاحتلال كمستودع عسكري هاهو اليوم يستعمل لغرض أكثر نبلا لكن دونما عناية بهذا المعلم المتميز.

هذا الخزان الواقع شمال المدينة مقابل النزل البلدي والذي يشكل أساسات مبنى المركز الثقافي شبلي أحسن يستعمل اليوم كمتحف بلدي وذلك منذ سنة 1987م، اثر اكتشاف عرضي لمجموعة متحفية ثمينة جدا بعد انهيار احد المباني.(الصورة 28)

يتكون هذا الخزان المستطيل الشكل (32م ×15م) من سبعة أقسام، عرض كل قسم 3م ويفصل بينها جدران بمتوسط سمك 1.25م وارتفاع الجدران حتى أسفل القبة 6.50م[204]

---

[202] Chabassiere. Op. cit. p 18.

[203] Fenech. Op. cit. p 25.

[204] Vars. Op. cit. p 70.

هذه هي الخزانات الواقعة بالجهة الغربية من المدينة، بالاضافة إلى الخزانات التي سبق الحديث عنها والتي وجدت أسفل مبنى المسرح الجهوي.

هذا وقد كان بالجهة الشرقية للمدينة بعض الخزانات الأخرى، لم يتخلف لنا ما يمكن الاستناد إليه في وصفها، ويبدو أن احد هذه الخزانات كما تعرضنا له سابقا كان يتواجد حيث تجري حاليا أعمال توسيع مسجد عبد الحميد ابن باديس.(الشكل46)

و يمكن حتى الجزم بذلك بالنظر إلى سمك الجدران الضخمة والذي يزيد عن المتر، كما أن توزيع البقايا الأثرية على مساحة شاسعة ووجود الجدران بشكل متوازي كل 3 إلى 4م يحمل على الاعتقاد بان الأمر يتعلق فعلا بخزان مائي كبير.

لكن بمقابل ذلك وجدت بعض قنوات المياه بهذه الأنحاء، إحدى هذه القنوات تحت الأرضية كانت تحاذي سفوح شعبة الزعرورة باتجاه النسيج العمراني للمدينة، وتحديدا في اتجاه الخزان سالف الذكر، ويعتقد دومارسيي – الذي عاين أثار هذه" القناة المغطاة ببلاطات على شكل حرف A تماما، مثل تلك التي نراها بسطورة بجانب القبة الكبيرة قرب الميناء" – أن هذه القناة لا يمكن أن تمثل امتدادا للقناة المحمولة، ذلك أنها توجد على مستوى أعلى من هذه الأخيرة ويرى بأنها كانت تجلب مياه الأمطار المتسربة طيلة معظم السنة من مرتفعات سكيكدة[205].

أما فيما يخص القناة المحمولة (aqueduc) فقد كلف نقيب الهندسة العسكرية ريفول(Riffault) سنة 1842م بدراسة مشروع هذه القناة، وأمكنه خلال هذه الدراسة التعرف على بقايا هذا المعلم في نقاط عدة لاسيما بوادي القصب وفي الجهة الشرقية للمدينة حيث وجدت دعامتين كبيرتين عند مدخل ملكية السيد: دي ماركي Dé Marquée[206]، كذلك تمكن من التعرف بوادي ريغة الذي يجري محاذيا سفوح جبال فلفلة على مأخذ المياه هناك والذي لا زال السكان المحليون يطلقون عليه اسم"عين الرومان"[207]..

و تمتد هذه القناة على طول 22 كلم ويصل أعلى ارتفاع لها إلى أكثر من 20 م بحسب المخطط الذي قدمه شابسيار (الشكل 38) ويعد هذا المخطط الوحيد الذي يصور لنا بقايا هذه القناة والتي لا نجد لها سوى بعض البقايا متمثلة في قناة أرضية مقببة بمنطقة القلعة (المربوبة)

---

[205] De Marcilly. Op. cit. p 28.

[206] لم أتمكن من تحديد على وجه الدقة مكان هذه الملكية لكن يبدو أنها تقع غير بعيد عن مصب وادي الصفصاف في الاتجاه الجنوبي على المنحدر الشرقي لجبل سكيكدة.

[207] Chabassiere. Op. cit. p 18.

كانت تتغذى من احد المنابع بالقرب من مقلع الرخام (الشكل 39)، و قد بنيت القناة من الحجارة و الدبش، وهي ذات قطر يجاوز 20 سم(الصورة 29 أ، ب)، و بتتبع هذه القناة في اتجاه جنوب غرب على مسافة العشرين متر من المنبع الجديد قرب المقبرة، عثرنا على بئر صغيرة ترتفع عن سطح الأرض بنيف المتر و قطر الفوهة 1.10م، ويبدو أن هذه البئر استخدمت لتهوية و تنظيف القناة حيث نجد مخرج هذه الأخيرة أسفل البئر تماما مع مستوى سطح الأرض، مواصلة سيرها في نفس الاتجاه نحو وادي ريغة بحثا عن الميل اللازم. (الصورة 30 أ، ب)

بينما يقدم لنا محمد صادق مسيخ معلومات أكثر دقة عن هذه القناة المحمولة إلا أنني لم استطع التأكد من صحتها أو الوصول حتى إلى معرفة المصدر الذي اعتمده في نقل هذه الأرقام بسبب عزوف الكاتب في مؤلفه عن روسيكاد استعمال الإحالة البيبليوغرافية، وهو الأمر الذي قلل كثيرا من الأهمية العلمية لكتابه، إلا أننا مع ذلك نورد هذه الأرقام لإثراء المعلومات المتوفرة لدينا حول هذا المعلم المهم .

" تحاذي القناة الناقلة وادي ريغة على امتداد 358 م، لتلتقي بها ناقلة أخرى تتغذى من منبع "عين المرابع" ثم تواصل محاذية السفوح الجبلية قبل أن تقطع وادي شاري على ارتفاع 10م وامتداد 40 م، ثم وادي القصب على نفس طول الامتداد وعلو 20 م، ثم بعد ذلك وعلى مسافة بعيدة ومن اجل مواجهة اضطرابات التضاريس حملت القناة على أروقة ذات علو يصل إلى12م وبطول إجمالي يصل الى55م، و أخيرا فإنها تقطع وادي صفصاف لتصب في النهاية في خزان يحتمل انه يقع شرق المدينة "[208]. (الشكل 40)

وعموما فإننا نرى أن المقطع الذي قدمه شابسيار يعد أفضل معلومة توفرت لنا عن هذا المعلم، في ظل انعدام البقايا الأثرية بسبب حملة التعمير التي حدثت خلال فترة الاحتلال وما بعدها.

<u>خزانات سطورة :</u>

على غرار المدينة فقد وجدت بمنطقة سطورة منظومة للمياه شبيهة بمنظومة مياه المدينة وقد تميزت بنفس الضخامة ونفس التقنية أيضا[209]، بحيث أن خزانات سطورة كانت تتغذى من

---

[208] Mohamed Sadek Messikh. L'antique rusicade. Edition Rais. pp 81- 80.

[209] بل أكثر من ذلك أن دولمار يميز هنا "واحدا من بين أهم المعالم الرومانية بالجزائر " De Lamare. Op. cit ; p 176

مياه احد الأودية التي تجري خلف المرتفع الذي يعلو الميناء على ارتفاع حوالي 120م عن سطح البحر، ويعرف الوادي حيث وجدت نقطة تجميع الماء باسم "وادي شادي" .

وقد قام دولمار بإعداد مخطط كامل عن هذه المنظومة سنة 1840، انطلاقا من مصدر المياه (الشكل 41)، كما انه قدم لنا تفاصيل مهمة لاحقا أثناء الأعمال التي جرت سنة 1842م من اجل إعادة استعمال هذه المنظومة من طرف الهندسة العسكرية الفرنسية بعد أن استعملت الخزانات أولا كملجأ للعساكر، قبل أن تدعو الحاجة إلى ضرورة استعمالها لغايتها الأولى بسبب عدم قدرة الجنود على احتمال المكان وكذلك بسبب المعاناة التي كان يجدها الملاحون في التزود بالماء[210].

تتكون نقطة التجميع من حوضين للتصفية يليهما خزان حيث تتصل القناة، هذه الأخيرة التي تأخذ اتجاه شرق غرب لتلتقي على مسافة 45م بقناة ثانية تأخذ مياهها من منبع قريب غني بالحديد (Source ferrugineuse) ثم تواصل في نفس الاتجاه على مسافة 135م، أين تنعطف القناة مخترقة عبر نفق يزيد عن 50م قمة المرتفع(الصور33، 34، 35)، لتنحدر بشكل أكثر ميلا باتجاه شمال جنوب نحو الخزانات الكبرى[211]. (الشكل 42)

تأخذ الخزانات والتي ما تزال مستعملة إلى اليوم لكنها تتغذى من مصدرجديد (الصورة 31، 32)، شكلا مستطيلا (29م × 25م)، ارتفاعها تحت القبة 14,50م ، قسم فضاءها الداخلي إلى ستة أقسام متناسبة الحجم، بحيث تصل طاقة استيعابها مجتمعة إلى 3750 م^3[212](الشكل 43)، وقد وجدت في حالة جيدة إلى درجة أن أعمال الترميم لم تكد تغير شيئا في شكلها الأصلي، اللهم إلا الفتحات التي يذكر دولمار أنها لم تكن موجودة والتي تم تهيئتها في عمق الجدران التي تقسم فضاء الخزان خلال أعمال الترميم[213].

في الاتجاه جنوب جنوب غرب وعلى مسافة 160 م وجد خزان أخر لكنه اصغر حجما (15،9م × 60،4م) من الداخل، أما الارتفاع فهو 9م ،لكنه اختفى اليوم في خضم العمران ولم يتسن حتى معرفة مكان تواجده على وجه الدقة ، هذا وقد كان هذا الخزان يتصل و الخزانات الكبرى بمبنى أخر قرب الميناء لا تزال بعض أثاره ماثلة إلى اليوم، ويحتمل أن يكون هذا

---

[210] De Lamare. Op. cit. p 176.

[211] Vars. Op. cit. p 10.

[212] Vars. Ibid. p 11.

[213] De Lamare. Op. cit. p 182.

البناء الضخم والمقبب والذي يطلق عليه حاليا القبة الرومانية عبارة عن نافورة كبرى كما يعتقد ذلك رافوازي[214]. (الشكل 41)

أخيرا فان دومارسيي يشير إلى انه قام بنفسه بتدمير سنة 1850م – لإقامة مبنى جديدا _ خزانات تتكون من خمسة أحواض مستطيلة الشكل تعلوها قباب، هذه الأحواض التي يفصل بينها جدران بسمك 0,80 م ذات مقاسات 3,80م × 4,55م، أربعة من هذه الأحواض ذات عمق 4,80 م .

الزوايا المستديرة والأرضية الإسمنتية وطريقة تلبيس الجدران _ يقول دومارسيي – لاتدع مجالا للشك بان هذا المبنى عبارة عن خزانات مائية[215].

وفي الحقيقة فان المنشات المائية بسطوره تستدعي لوحدها دراسة مفصلة، وهذا نظرا لوفرة المعلومات بشأنها خاصة تلك الدراسة القيمة التي أعدها دولمار عن أثار هذه المنطقة بحيث انه أورد تفاصيل غاية في الدقة عن منظومة المياه بسطورة بالاضافة إلى أن أثار بعض معالم هذه المنظومة لازالت قائمة ويمكن استغلالها في البحوث الأثرية.

المخازن:

على اعتبار أن روسيكاد أنشئت بالأساس لتكون منفذا بحريا للعاصمة سيرتا وميناء استراتيجيا لإمداد روما بالأنونة التي تجلب من مختلف مناطق الكونفدرالية السيرنية أو نوميذيا القديمة فقد استوجب الأمر بالتالي بناء مجموعة هامة من المخازن الموجهة لاستيعاب الكميات الضخمة من المحاصيل الزراعية والمنتجات الحيوانية من مثل الحبوب والزيوت والخمور والدهون واللحوم وغيرها، والتي تتطلب ظروف تخزين مناسبة قبل أن تنقل عن طريق الأساطيل الإمبراطورية إلى الضفة الشمالية لحوض البحر الأبيض المتوسط .

للأسف لم يتبق اليوم من هذه المخازن شيء يذكر، وكل ما يمكن الحديث عنه في هذا المجال يقتصر فقط على بعض الكتابات الوصفية التي خلفها لنا ضباط الاحتلال الفرنسي أو

---

[214] De Lamare. ibid. p 184.

[215] Demarceilly. Op. cit. p23.

المهتمين بآثار المدينة من أمثال لويس برتران الذي يقدم بين أيدينا مخططا لأحد هذه المخازن والذي اكتشف تحت ساحة الحرية قرب نافورة المياه العملاقة التي سبق الحديث عنها سنة 1851م (الشكل44)، ويتكون هذا المخزن من "مباني غير منتظمة تأخذ اتجاه شمال شرق- جنوب غرب دون أن يكون ثمة مخطط محسوم مسبقا بحيث يمكن الاعتقاد أن هذا المبنى كان يتم توسيعه وتمديده وفق متطلبات الحاجة الظرفية.

يتشكل المبنى ككل من ستة أقسام ذات أشكال وأحجام واتجاهات مختلفة وبمدخل مقوس على ارتفاع 2.50م عن مستوى سطح البحر"[216] .

يصل طول هذه البناية إلى 19م وعرض 7.80م ويبدو أنها تفتقد إلى حذاقة وروعة الهندسة الرومانية، فالقباب التي تعلوها منخفضة جدا ومكثفة البناء وأروقة المداخل لا تظهر أي تناسق مما يدفع للاعتقاد أنها تعود ربما إلى الفترة البيزنطية[217].

استعملت هذه البناية وقتها أي غداة اكتشافها من طرف مؤسسة أشغال الطرق والجسور الاستعمارية كمستودع للأدوات قبل أن تدعو الحاجة لاحقا إلى طمرها تحت أكوام التراب الهائلة حيث تقبع إلى اليوم أسفل ساحة الحرية.

مخازن سطورة :

لكن يبدو أن أهم المخازن التي بناها الرومان كانت موجودة بالجوار القريب من ميناء سطورة وهذا ما يوضحه مخطط دولمار والذي كان مخطئا في الاعتقاد أن المبنى الذي قام برفع مخطط له عبارة عن حمام، وهو نفس المبنى الذي يقدم لنا رافوازي لوحة جميلة عنه.

ينتصب هذا المبنى بموازاة الشاطئ بطول يصل إلى 75م ويتكون من مجموعة غرف ذات عمق يتراوح ما بين 4 إلى 12م ولم يستطع فار أن يقدم لنا وصفا محددا عن هذه المباني لكونها قد تعرضت في معظمها في ذلك الوقت إلى التشوه نتيجة العمران لحديث[218]. ويبدو أن جوزيف روجي محافظ المتحف آنذاك قد عثر هناك على جزء من كتابة نقشت على لوح من الرخام على بعد حوالي 60م من إحدى قنوات مياه الخزانات لا زال المتحف البلدي روسيكاد يحتفظ بها إلى اليوم (الصورة 27)

---

[216] Bertrand L, op. cit, in RSAC 1906, p 81.
[217] Fenech. Op. cit. p31.
[218] Vars. Op. cit. p 14.

وقد قام بمراسلة المجلة الإفريقية بخصوص هذا الاكتشاف والذي تسنى من خلاله معرفة هوية هذا المبنى وفق القراءة التي قدمها شاربونو[219]، وقد أكدت لاحقا مصادفة جميلة تلك القراءة وهذا بعد أن تم العثور على الجزء المفقود بمتحف "تولوز" إذ يبدو أن احد الضباط كان قد نقله في بداية الاحتلال إلى فرنسا[220]، وهذا نص الكتابة كاملا :

"من اجل عظمة عهد أميرينا الكبيرين، سيدي العالم، الجليلين على الدوام، فالينتياس وفالنس دام مجدهما، بنيت هذه المخازن لضمان امن الشعب الروماني وأمن سكان الأقاليم الموالية وملئت بالحبوب وأهديت من طرف بوبليليوس كايونيوس كايسينا ألبينوس الرجل الذائع الصيت والي إقليم نوميذيا القنصلية صاحب الأشعة الست ".

من خلال هذه الكتابة يتضح أن هذه المخازن بنيت في منتصف القرن الرابع للميلاد وهو ما يدفعنا للتساؤل ما إذا كان الأمر يتعلق ببناء جديد أم انه تجديد لبناء قديم ؟

و الواقع أن هذا المبنى لا يعد الوحيد من نوعه بهذه المنطقة فقد سبق وذكرنا أن هناك الكثير من المباني التي وجدت على امتداد طريق سطورة_ روسيكاد ومن بينها المخازن.

و عليه فقد تكون المخازن المشار إليها عبارة عن مبنى جديد بني من اجل تدعيم طاقة استيعاب مجموع المخازن الموجودة بهذا الميناء.

المتحف:

في البداية ونظرا لعدم وجود مقر ملائم لاحتضان مختلف القطع الأثرية التي كانت تنبعث يوميا عند إنشاء المدينة الجديدة، فان هذه القطع كانت توجه إما إلى فرنسا (متحف اللوفر) أو إلى قسنطينة وحتى إلى الجزائر العاصمة.

و هذا قبل أن يتفطن احد الإطارات بمصلحة أشغال الجسور و الطرق و هو السيد لابوري (Laborie) إلى استغلال فضاء المسرح الروماني سنة 1845م كمكان لاحتضان أثار المدينة و قد كان يسهر شخصيا على حماية قطعه الثمينة نظرا لوجود مكتبه بالقرب من المسرح.

و في جلسته بتاريخ 14 فيفري طرح المجلس البلدي الرغبة في أن تكون التحف القديمة على مستوى المسرح تحت وصاية سلطات البلدية، و أن يخصص لها مبلغ مالي للحفاظ عليها

219

220 De Lamare ; op. cit , p

و صيانتها، و كذلك صوت المجلس في اجتماع 3 سبتمبر من نفس العام على تخصيص مبلغ قدره 500 فرنك سنة 1853م و 500 فرنك سنة 1854م لهذه التحف.

و بتاريخ 13 ديسمبر 1859 تم تعيين السيد جوزيف روجي محافظا للمتحف بقرار بلدي يتضمن أيضا إنشاء المتحف الأثري، و ذلك باقتراح من السيد رئيس البلدية الكسندر والي Alexandre Wallet.

وقد قام المهندس جوزيف روجي، الذي قضى 17 سنة كمحافظ للمتحف، بترتيب المعروضات المتحفية وهذا بوضع القطع الكبيرة كالتماثيل و الأعمدة و التيجان و التوابيت وغيرها على مستوى مدرج المسرح، بينما انشأ للتحف الصغيرة و القابلة للتلف مستودع صغير.(الصورة 36)

وقد تناوب بعد وفاته سنة 1876م على إدارة المتحف مجموعة من إطارات البلدية و الذين لم تكن تشكل الآثار هواية مفضلة لديهم، فساءت نظير ذلك أوضاع هذا المتحف.

و في سنة 1898م و بعد الإلحاح المتزايد من طرف السيد لويس برتران قررت السلطات البلدية إنشاء متحف الآثار بفليب فيل، وقد خصص لهذا المشروع 16000 فرنك ، و جمعت له تبرعات بقيمة 2100 فرنك، بينما تطوع المقاولون بما قيمته 1000 فرنكا من الأشغال المختلفة، أما مهمة تصميم مبنى المتحف فقد أوكلت إلى المهندس هنري رانو Henry Ranoux.

يحتل المبنى مساحة 2726م^2 ، و يتكون من ثلاثة أجنحة ، يحتوي الجناح الأول(الأوسط) على قاعتين، أولاهما بالطابق الأرضي مخصصة لعلم الآثار بينما قاعة الطابق الأول فخصصت للفن الحديث.

الجناح الثاني بالجهة الشمالية يتكون من قاعة بالطابق الأرضي مخصصة للمسكوكات و تضم 7000 قطعة ما بين نقود و ميداليات ، و يوجد أيضا بهذا الجناح مكتب محافظ المتحف.

أما الجناح الثالث و الأخير بالجهة الجنوبية فيتكون من قاعة بالطابق الأرضي مخصصة للأسلحة و قاعة و بالطابق الأول للأسلحة البحرية ، و قد قام بتصميم هذا الجناح المهندس جون بابتيست مارتن Jean Baptiste Martin، بالاضافة إلى تصميمه لحديقة أمامية و سياج المتحف.(الصور37، 38)

كان يضم هذا المتحف الذي عد حينها من بين أثرى متاحف الجزائر 1500 قطعة أثرية متنوعة، بحيث نجد 61 عمودا ، 52 قاعدة عمود ، 106 من تيجان الأعمدة، 9 تماثيل كبيرة، 6 أنصاف تماثيل، 8 تماثيل صغيرة، 15 تابوت، كل هذه القطع من الرخام ، 174 نقيشة بالاضافة إلى الكثير من القطع الفخارية و أجزاء القطع المختلفة و الزجاج و الفسيفساء و الأدوات القديمة[221].

ومن دون أن نفهم السبب و بنفس البشاعة التي تم اقتلاع بها المدرج و مختلف المعالم التي كانت قائمة بالمدينة كذلك تم تهديم المتحف سنة 1953م من طرف سلطات البلدية في عهدة رئيس البلدية دومنيك كرييفو، فهل كان السبب فعلا ان المدينة لم يبق بها مكان اخر لبنا مجرد عمارة جديدة سوى المكان الذي ينتصب فوقه المتحف؟[222].

فقد لوحقت اثار المدينة حتى عندما هربت اجزاءا إلى المتحف ليعاد تشتيتها من جديد في مختلف مستودعات المدينة كما اعيد جزء منها الى المسرح الروماني لتتدثر بترسبات الزمن

وهكذا فقد بقيت أثار روسيكاد في ظلام تلك المستودعات حتى سنة 1981م عندما اكتشف بعضها بمستودع فساس (مكان محطة نقل المسافرين اليوم محمد بوضياف) إذ وبعد المحاولات الحثيثة من طرف بعض الغيورين على تراث المدينة من اجل ايجاد فضاء لإقامة متحف يؤوي تلك القطع الثمينة ، و بعد عمل المستحيل من اجل هذا الغرض النبيل إلا أن سعي هؤلاء و على رأسهم مؤلف الدليل الوحيد لتلك القطع الأثرية محي الدين شبلي لم يكلل بالنجاح الا سنة 1987م عندما تم تخصيص خزان المياه الروماني الذي كان مستودعا لعلف الحيوانات في فترة الاحتلال ثم مخزنا للبضاعة في ظل الاستقلال و الذي يشكل أيضا أساسات مبنى المركز الثقافي شبلي أحسن كمتحف اثر تهديم مستودع فساس في تلك السنة و تعرض اغلب التحف الأثرية التي كان يضمها إلى التلف[223].

و لا يزال هذا الفضاء المتحفي حتى لا نقول شيئا أخرا تحت وصاية بلدية سكيكدة في انتظار الأمل الذي طال انتظاره و هو إنشاء وفق المعايير العلمية متحفا لإيواء تلك الآثار التي تلاحقها لعنة الوندال إلى اليوم .

---

[221] Bertrand, Louis. Histoire de Philippeville(1838-1903). Philppeville , 1903. Pp 187-190.

[222] محي الدين شبلي، دليل المتحف البلدي روسيكاد، عين مليلة، 2008، ص 07.

[223] محي الدين شبلي ، نفسه، ص 08.

أما فيما يتعلق بالآثار التي أعيدت إلى المسرح الروماني فقد انشيء لها في إطار عملية ترميم هذا المعلم تحت إشراف مديرية الثقافة للولاية سنة 2008 م و بالجهة الجنوبية منه حديقة أثرية (الشكل 47)، و التي تعد بحق الانجاز الوحيد الجدير بالاحترام و الإشادة و التي رغم النقائص و خلوها من ظروف العرض العلمي، كغياب البطاقات التقنية و اللافتات التوجيهية إلا أنها في نهاية الأمر قد أنعشت و أعادت إلى الضوء بقايا تراث المدينة، وأصبح بإمكان الزائر الذي يبحث عن روسيكاد الضائعة أن يجد بعض ظلالها في تلك الحديقة.(الصورة 39 أ، ب)

الـــــــخاتـــــــمة

الخاتمة:

في ختام هذا البحث الذي أردنا من خلاله تسليط الضوء على أهم المعالم المكتشفة بروسيكاد في بداية الاحتلال الفرنسي، ومحاولة تحديد مواقع اكتشافها في ظل النسيج العمراني وقتها، و محاولة تحديد فيزيونومية المدينة الرومانية، ثم متابعة قدر الإمكان ما آلت إليه هذه الاكتشافات عقب هذا التجدد العمراني و الطبوغرافي تبعا لذلك، أمكننا الخروج بنتائج قيمة ومتعددة الأوجه.

و أول هذه النتائج أن روسيكاد لم تكن مجرد مدينة رومانية وجدت بمحض المصادفة بقدر ما كانت مدينة إستراتجية ذات أهمية قصوى، فرض وجودها هذا التواصل بين ضفتي المتوسط حيث كان الرومان ينقلون عبرها خيرات نوميذيا الخصبة إلى روما.

ولن نبالغ إذا قلنا أن فيليب فيل(الاستعمارية) ما هي إلا وجه أخر لروسيكاد، فقد بني الفرنسيون مدينتهم باستلهام مخطط المدينة الرومانية، و يمكن بسهولة ملاحظة المخطط الشطرنجي لروسيكاد من خلال المدينة الاستعمارية، كما أن الفرنسيين أيضا قاموا بإنشاء هذه المدينة وفق نفس المنظور الذي انشأ الرومان من خلاله روسيكاد، أي لتكون منفذا بحريا للمناطق الداخلية.

لقد حمل قرار المارشال فالي و القاضي بإنشاء المدينة على أنقاض روسيكاد وجهين مختلفين، إذ أن هذا القرار كان من جهة قد أعاد إحياء روسيكاد الرومانية لكنه في المقابل كان قد عبث أيما عبث بتراث المدينة، بحيث لم تحترم تلك الشواهد المادية بشكل يليق بعظمة و روعة روسيكاد.

فلا الهندسة العسكرية و لا إدارة الأشغال العمومية أو غيرها عملت على احترام تلك المخلفات الأثرية و التي كانت كفيلة لوحدها بملء أكثر من متحف واحد على مستوى المدينة، فضلا عن تلك الوندالية التي لا مبرر لها و التي محت من على وجه الأرض معالم كاملة كانت في حالة جيدة من الحفظ كما هو شان المدرج.

ان المرء يقف مذهولا أمام ذلك الجشع الأعمى، و الذي أطلق يد الجنود في تشتيت بشكل عشوائي مختلف البقايا الأثرية لروسيكاد من دون الاحتفاظ على الأقل و لو بذكرى موجزة عن

ذلك، بحيث لم يعد يمكن تتبع و اقتفاء أثار هذه الآثار إلا بصعوبة بالغة و أحيانا من دون الوصول إلى نتيجة.

ولحسن الحظ أن بعض ما قام به بعض ضباط الاحتلال ثم المختصون و الأكاديميون لاحقا كان قد رسم أمامنا ملامح المدينة القديمة، إلا انه لم يتابع بشكل حثيث و مستمر، بحيث توقف تقريبا بشكل فجائي بالموازاة مع الانتهاء من تحديد وجه المدينة الجديد.

فعمل هؤلاء يمكن القول انه كان مجرد عمل إنقاذي لتفادي الاسوء، و لتفادي المحو الكامل لتلك المدينة، و التي بالنظر إلى مختلف بقاياها الرخامية الجميلة كانت تمثل إحدى المدن التي رأى الاروبيون أنها لا يجب أن تنبت على ارض افريقية.

وقد أمكن من خلال هذا البحث المتواضع و المتواضع جدا تلمس بعضا من تلك البقايا و التعرف عليها، و لو بشكل مقتضب والتي كما تبين تشمل جميع المكونات و العناصر المشكلة للمدينة الرومانية.

بحيث أننا نجد بروسيكاد نفس ملامح المدينة الرومانية، بداية من الأسوار و الطريقين الرئيسيين للمدينة و الفوروم و الكابتول و مختلف المعابد و المسرح و المدرج و الحمامات ونوافير الماء، و ربما لو تسنى البحث أكثر لوجدنا نفس أنواع العمارة الأخرى التي يشملها تكوين المدينة الرومانية على غرار السوق و المساكن الجماعية (Domus) و التي للأسف لم نعثر في المراجع و الوثائق التي بين أيدينا على أي وصف لها.

و ربما يعود سبب ذلك كما ذكرناه في أطوار هذا البحث إلى تلك السرعة الجنونية التي أنشئت المدينة الاستعمارية في غضونها، مما عجل بطمس أثار روسيكاد دون أن يتمكن احد من مواكبة نتيجة ذلك وصف ما كان يحدث على الأرض من اكتشافات، و التي كان اغلبها (الاكتشافات) يدفن سرا تحت العمران الجديد.

ويمكن الاعتقاد بوجود تلك العناصر و حتى الجزم بذلك بالنظر إلى توزيع المعالم المكتشفة و التي لا تغطي سوى ربع الأرضية التي كان يتوجب أن تشغلها المدينة الرومانية، فيما لا نعثر على وصف لأثار الفضاء المتبقي و الذي حتما كما ذكر ذلك البعض، كان عامرا بالكثير من البقايا الأثرية و التي تعود إلى مختلف المرافق الأخرى.

بالإضافة إلى أننا نجد اليوم على اثر انهيار بعض المباني في الأحياء العتيقة للمدينة الاستعمارية أسسا لمباني رومانية و حجارة منحوتة أعيد استعمالها في تشييد مدينة فيليب فيل.

ولذلك نتساءل ما إذا كان بالإمكان استغلال تلك الظروف أثناء هذه الانهيارات و اقتراح أسبار أثرية في محاولة لتحديد شكل هذه الأسس و معرفة طبيعة الانتشار العمراني للمدينة الرومانية هناك ؟ ، و لو أن ذلك يبدو من خلال واقع الأمر صعب جدا.

على انه و قبل ذلك يتوجب أولا البحث أكثر في مختلف الوثائق التي خلفها الاستعمار الفرنسي، خاصة منها المتواجدة على مستوى الأرشيف، حيث يحتمل جدا العثور هناك على الكثير من التفاصيل أو المخططات المتعلقة بآثار مدينة روسيكاد، فلا يعقل مثلا أن تكون إدارة الأشغال العمومية أو مصلحة أشغال الطرق و الجسور لم تقم بتسجيل مختلف المعطيات الضرورية عن حالة تلك المعالم المكتشفة قبل محوها أو طمرها إلى الأبد.

كما أن عملا كهذا الذي قمت به يبقى أكثر من ضرورة، فلا زال هذا البحث نفسه بحاجة إلى الإثراء، ذلك أن ما قمت به بالنظر إلى ما يتطلبه الأمر لإبراز أكثر ملامح و فيزيونومية روسيكاد كما يفترض أنها كانت عليه لا يعد إلا الخطوة الأولى في هذا الاتجاه .

إذ و مثلما يمكن أن نلاحظه فقد حاولت في هذا البحث بسبب غياب مراجع تخص أثار مدينة سكيكدة القيام بحوصلة فقط لأهم ما تطرق إليه الفرنسيون فيم يتعلق بهذا الجانب في بداية الاحتلال و إلى غاية تحديد الملامح النهائية للمدينة كما تبدو في شكلها اليوم، وذلك من اجل تمكين الطلبة و الباحثين من نقطة انطلاق لمشاريع أبحاثهم الأثرية عن روسيكاد.

فقد عرفت روسيكاد كغيرها من مدن المغرب القديم قدرا سيئا باجتياح الوندال لها و تخريبهم لها ، لكن روسيكاد قد عرفت قدرا أسوأ بعد احتلالها من طرف الفرنسيين، فان كان أولئك قد قاموا بتركها جثة هامدة لقرون على الأرض، فان هؤلاء قاموا بتقطيعها مرة أخرى و دفنها إلى الأبد قي بضع سنين، و هو ما يجعل من محاولة إعادة تصور لتلك المدينة بحاجة إلى عمل أكبر.

بالاضافة إلى ذلك فان الاهتمام بما بقي من تراث روسيكاد في فترة الاستقلال ازداد سوءا، إذ انه لم يتم التفكير مطلقا في إعادة لم شتات القطع الأثرية، و التي ظلت عرضة للنهب و الإهمال على امتداد السنوات إلا مؤخرا، إذا ما استثنينا ما تم القيام به بعد تهديم مستودع فساس

و إنشاء المتحف البلدي، فضلا عن انعدام الدراسات التي تناولت هذه الآثار ، إذ أننا لا نجد في هذا الباب إلا مؤلفا واحدا يعتبرا استنساخا أو يكاد لكتاب شارل فار، و زيادة عليه، فخلوه من المنهج العلمي افقده كل قيمته المعرفية.

لكن تبقى أهم نتائج هذا البحث هو أننا تمكنا من وضع تصور مبدئي لمدينة روسيكاد و أن ملامح و فيزيونومية المدينة قد تحددت و لو بشكل ضئيل، و انه يمكن مع استمرار البحث و التحري عن أثار المدينة سواء في مختلف الوثائق أو على الميدان أن يوصلنا إلى إعادة تصور للمدينة القديمة.

ملحق الأشكال و الخرائط

الشكل 01: يمثل موقع ولاية سكيكدة، عن google earth بتصرف.

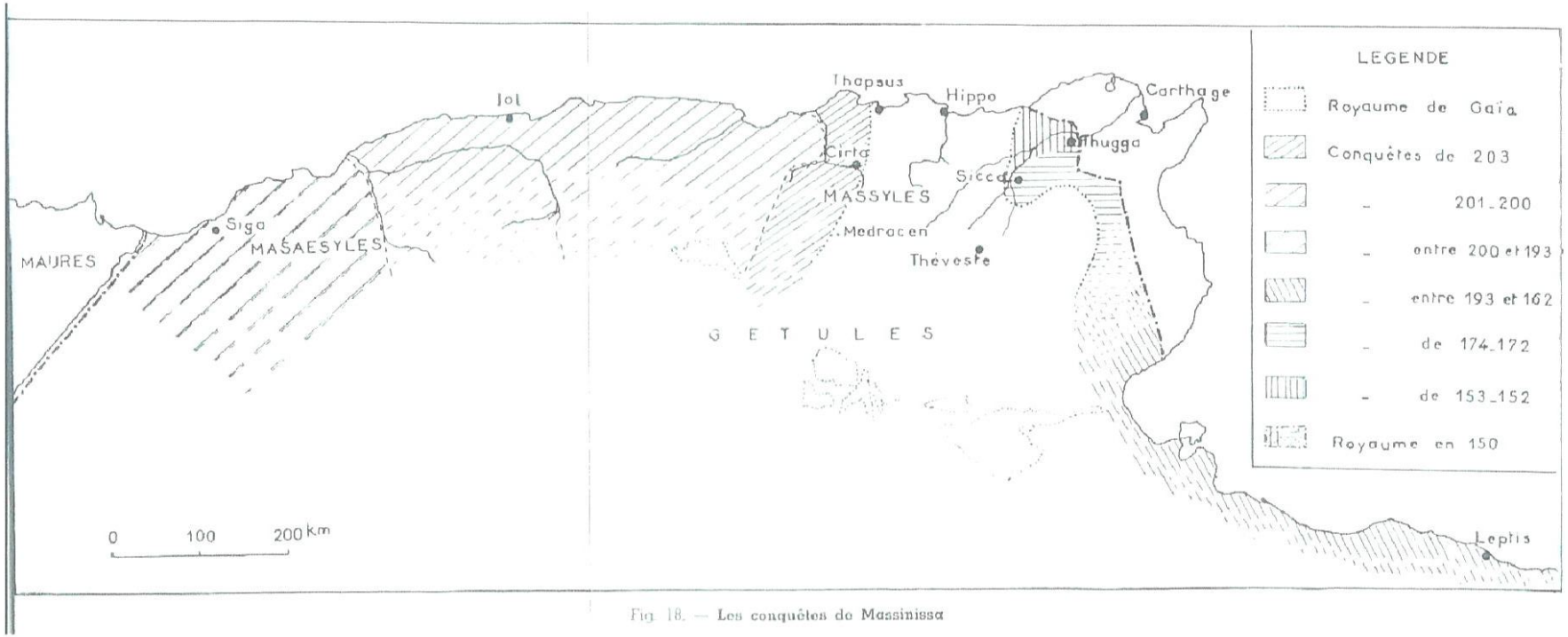

Fig. 18. — Les conquêtes de Massinissa

شكل 02: يمثل خارطة سياسية لبلاد المغرب القديم خلال القرن الثاني قبل الميلاد، عن Libyca tome VIII, 1960.

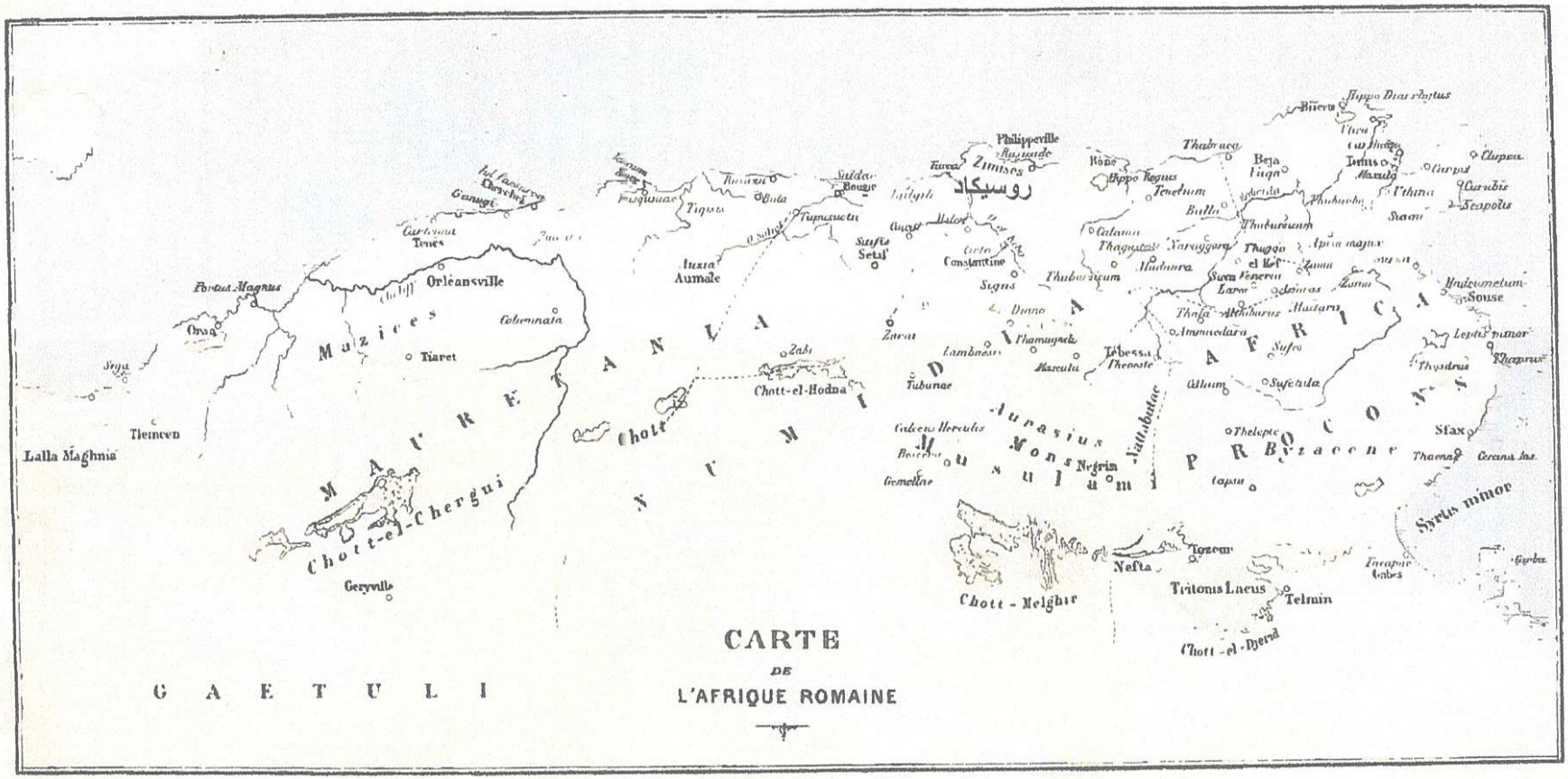

شكل 3: يمثل خارطة سياسية لبلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية، عن

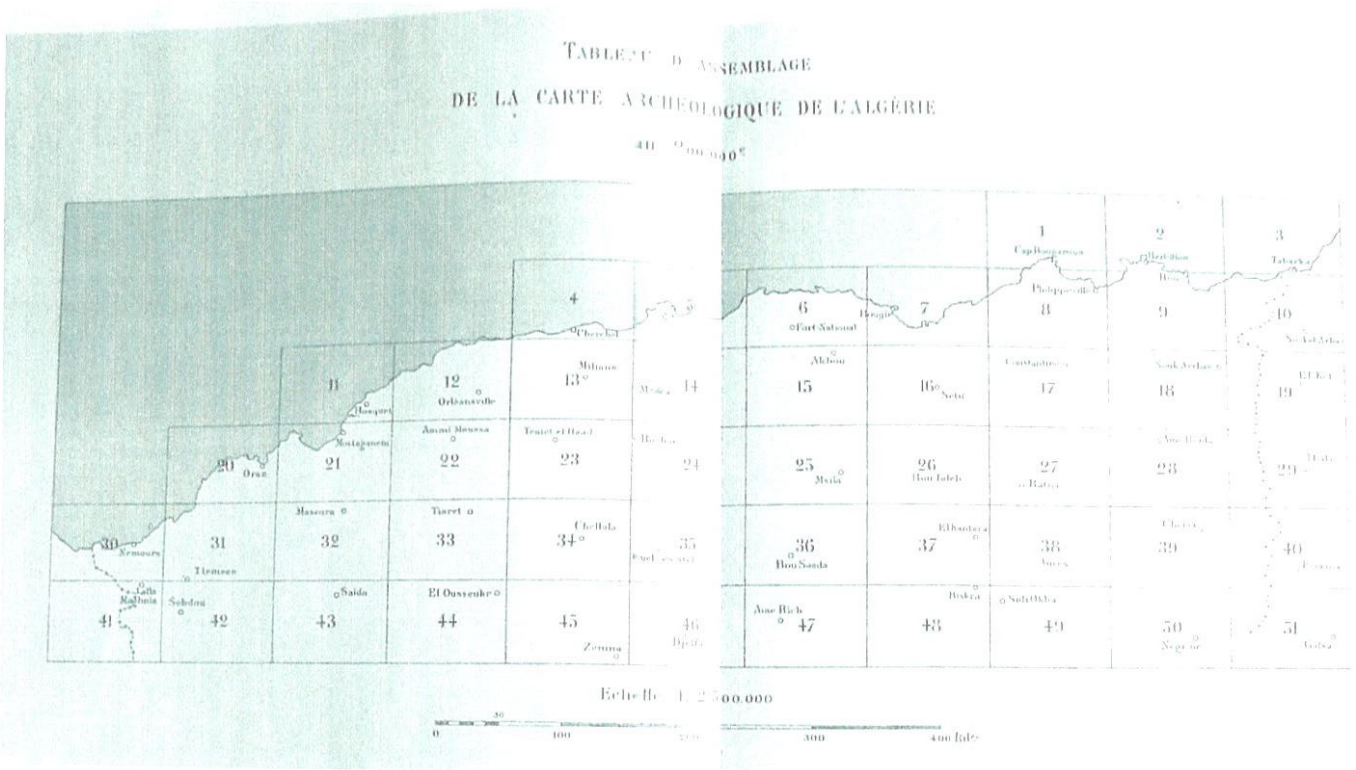

شكل 04: يمثل جدول تجميع الخارطة الأثرية يوضح اندفاع خليج نوميديا أكثر باتجاه الشمال مقارنة مع بقية ساحل القطر الجزائري، عن قزال.

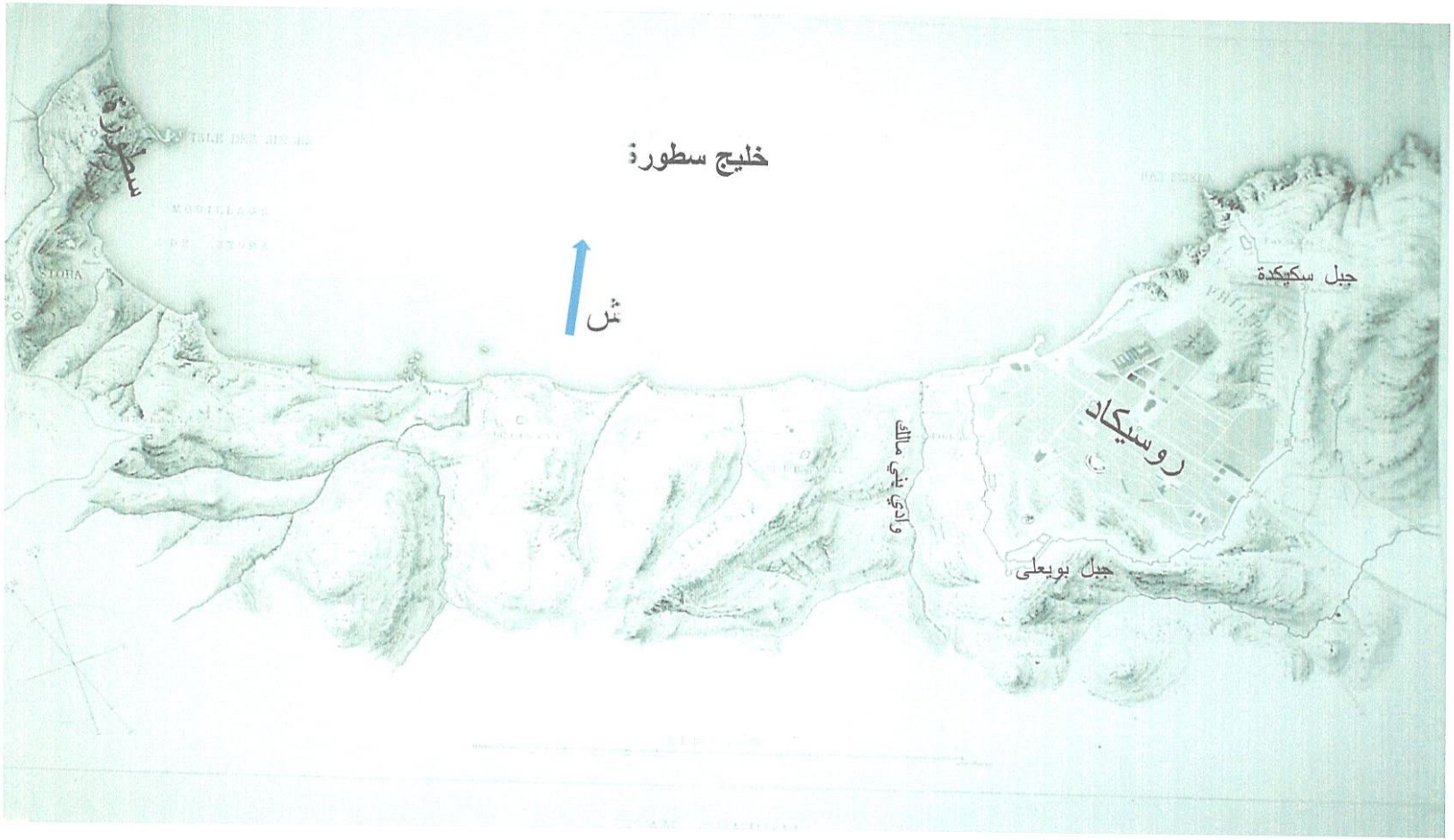

الشكل 05: موقع طبوغرافي لروسيكاد وسطورة، عن رافوازي.

الشكل 06: موقع طبوغرافي لمدينة روسيكاد و سطورة، عن دولمار

الشكل 07: يمثل موقع روسيكاد و سطورة، عن google earth بتصرف.

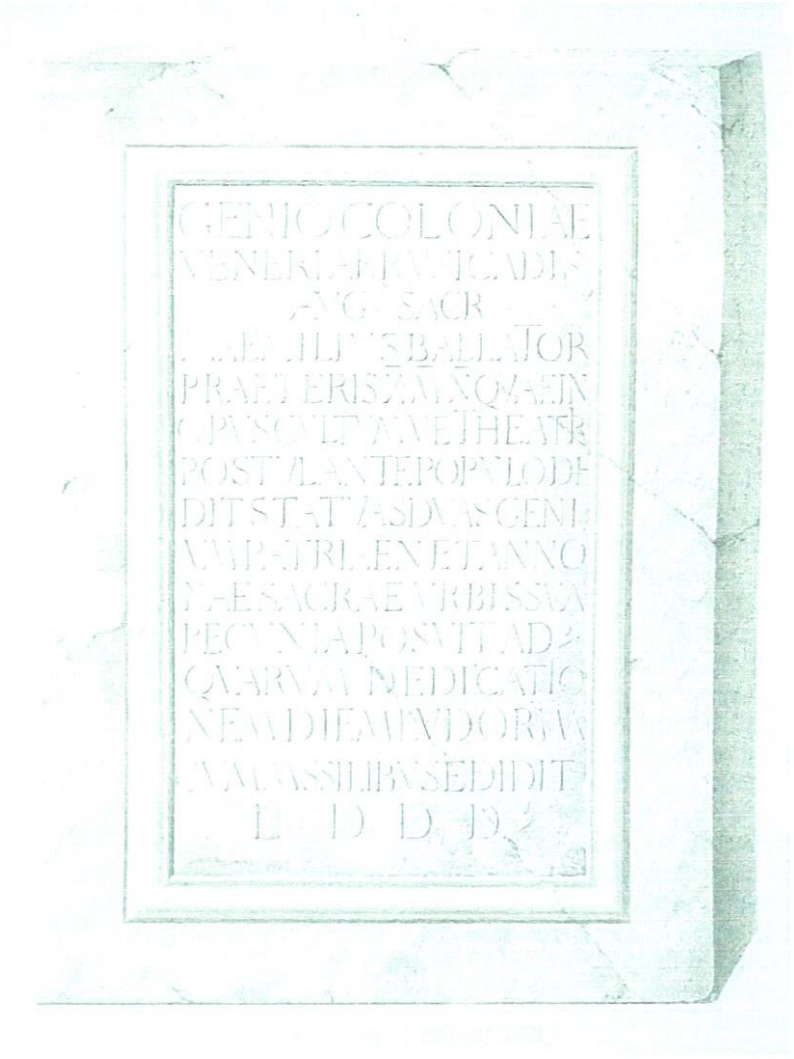

الشكل 08: أول نقيشة عثر عليها بالمسرح الروماني، تحمل الاسم الكامل لروسيكاد، عن رافوازي.

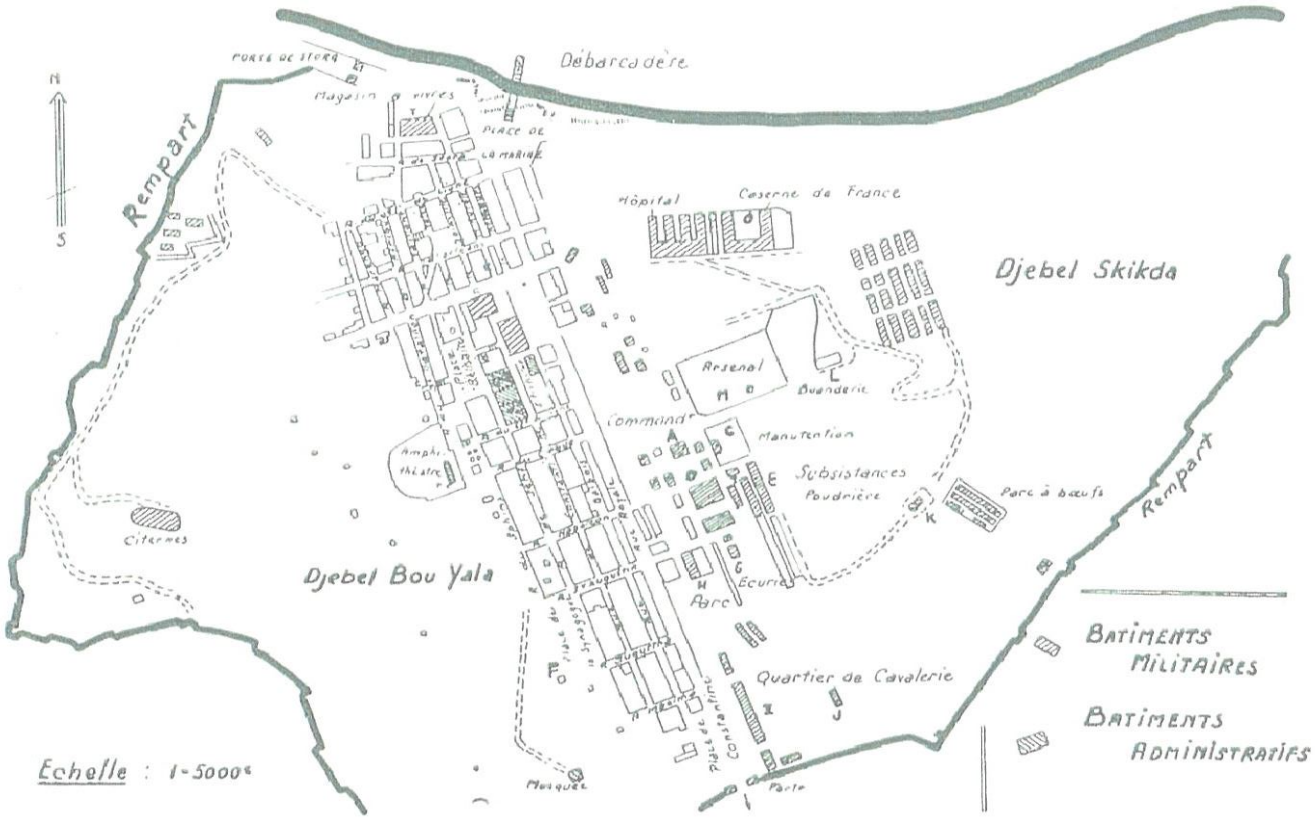

CARTE 12. — PHILIPPEVILLE EN 1844

الشكل 09: مخطط مدينة فيليب فيل سنة 1844، عن ادوارد صولال.

شكل 10: يمثل توزيع بعض المعالم الأثرية و مواقع المعالم بسطورة،
عن google earth بتصرف الطالب.

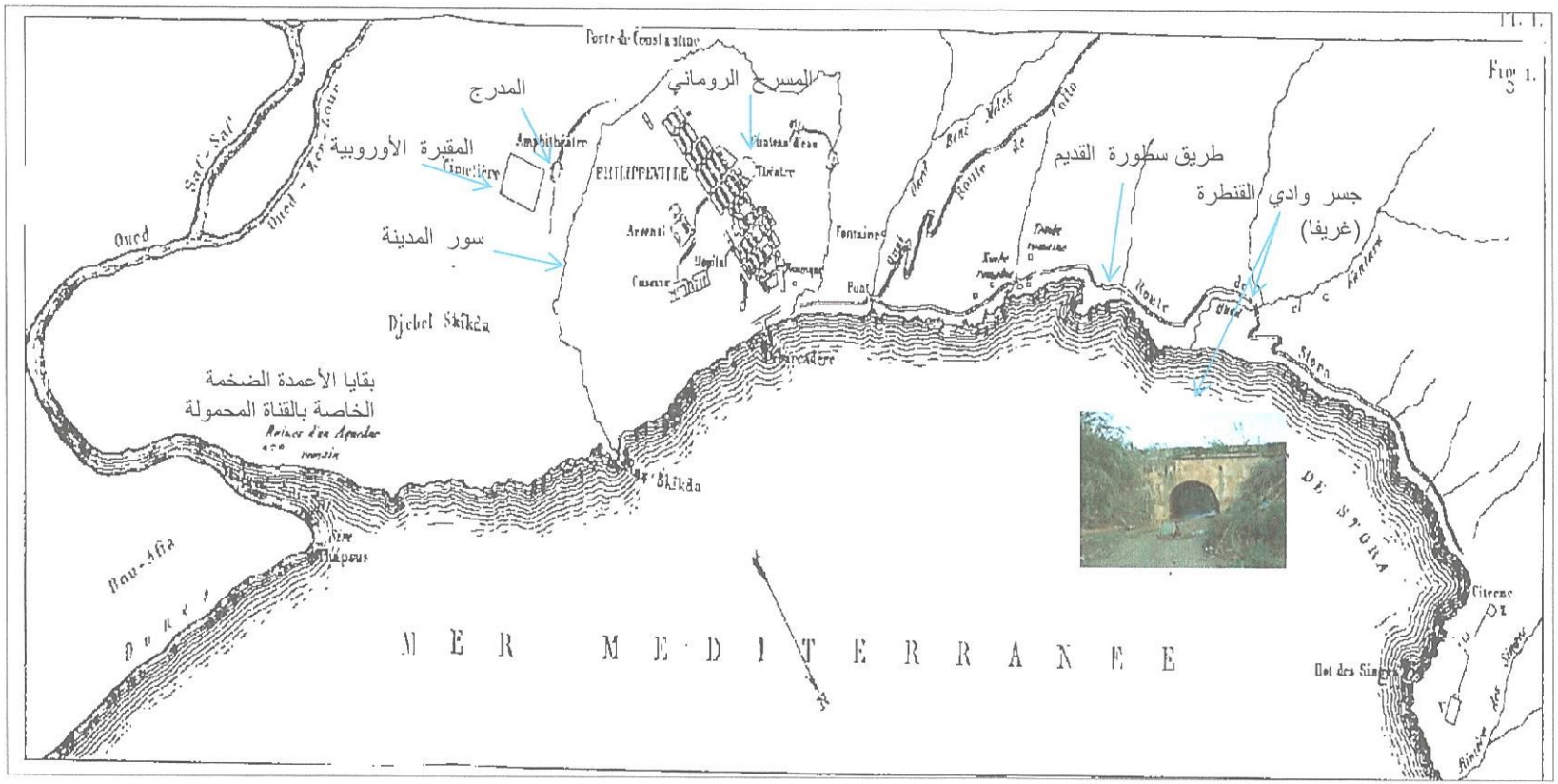

الشكل 11: مخطط مدينة فيليب فيل و سطورة،
عن دولمار بتصرف.

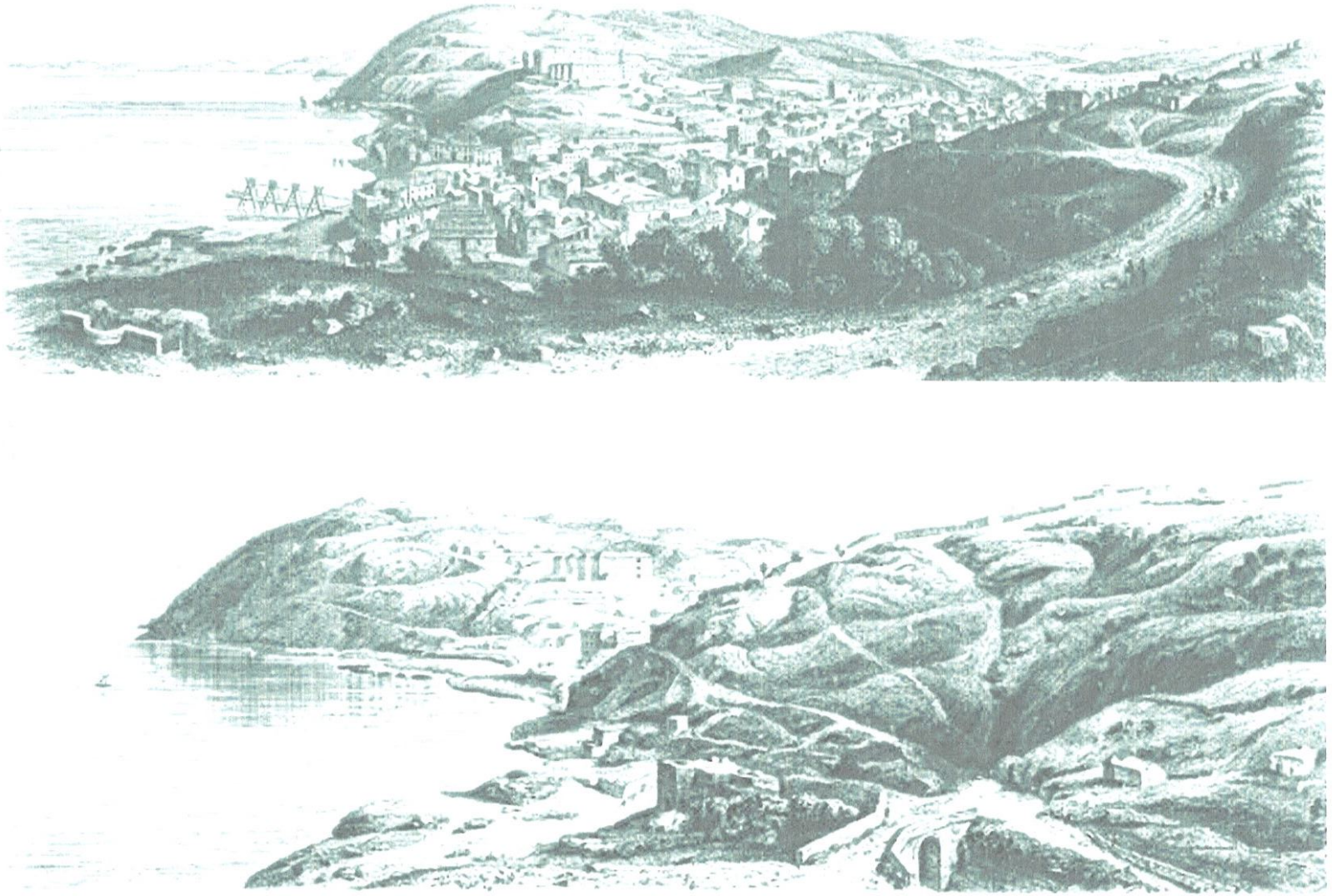

الشكل 12: يمثل لوحتين: طريق روسيكاد - سطورة في الأعلى، و في الأسفل جسر وادي القنطرة، عن دولمار.

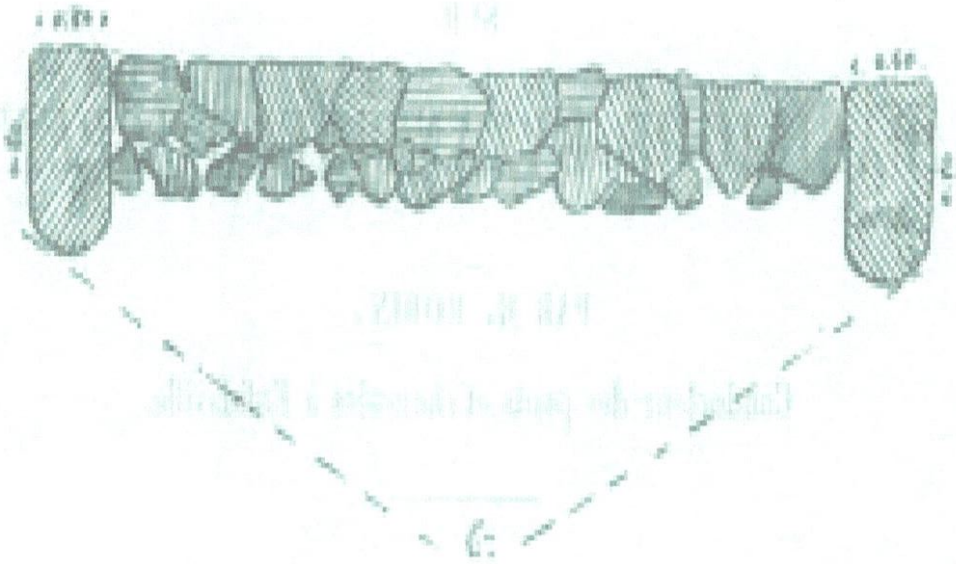

الشكل 13: مقطع عرضي للطريق الروماني، عن لويس برتران.

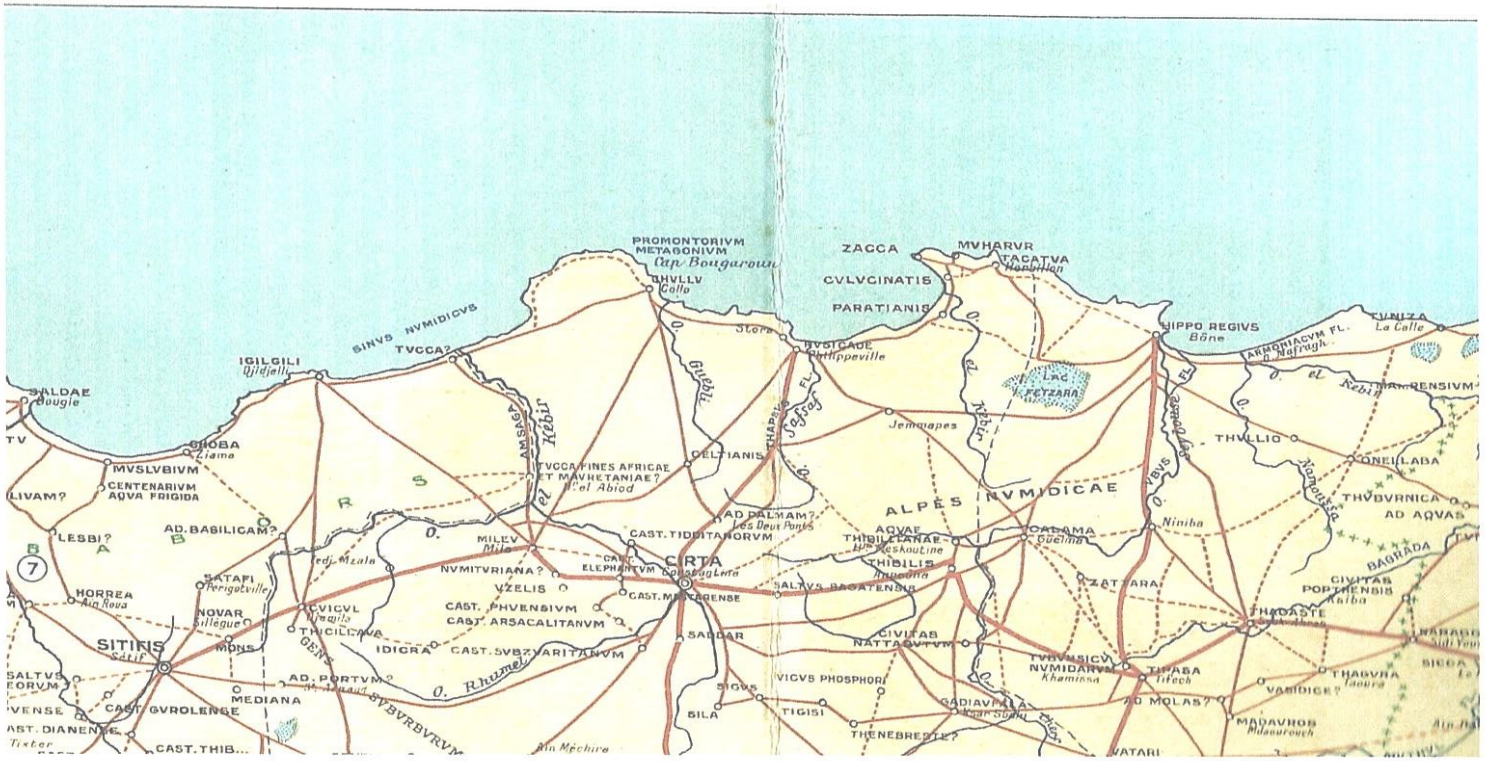

الشكل 15: شبكة الطرق التي كانت تربط روسيكاد بمحيطها المجاور، عن بيار صلاما.

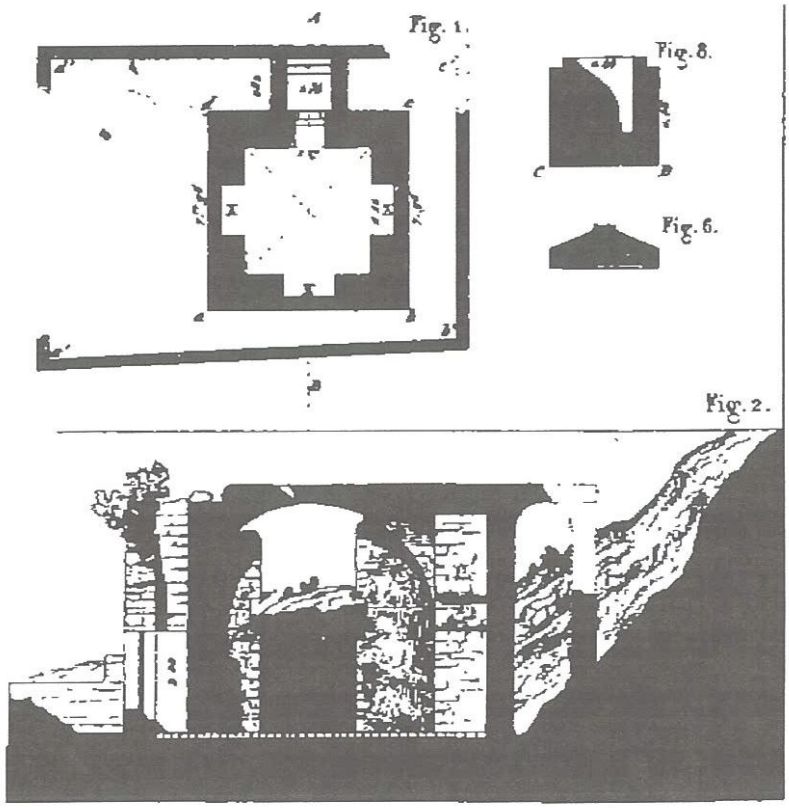

الشكل 16(أ): يمثل مخطط و مقطع جانبي للضريح.

الشكل 16(ب): يمثل المنظر الداخلي للضريح.

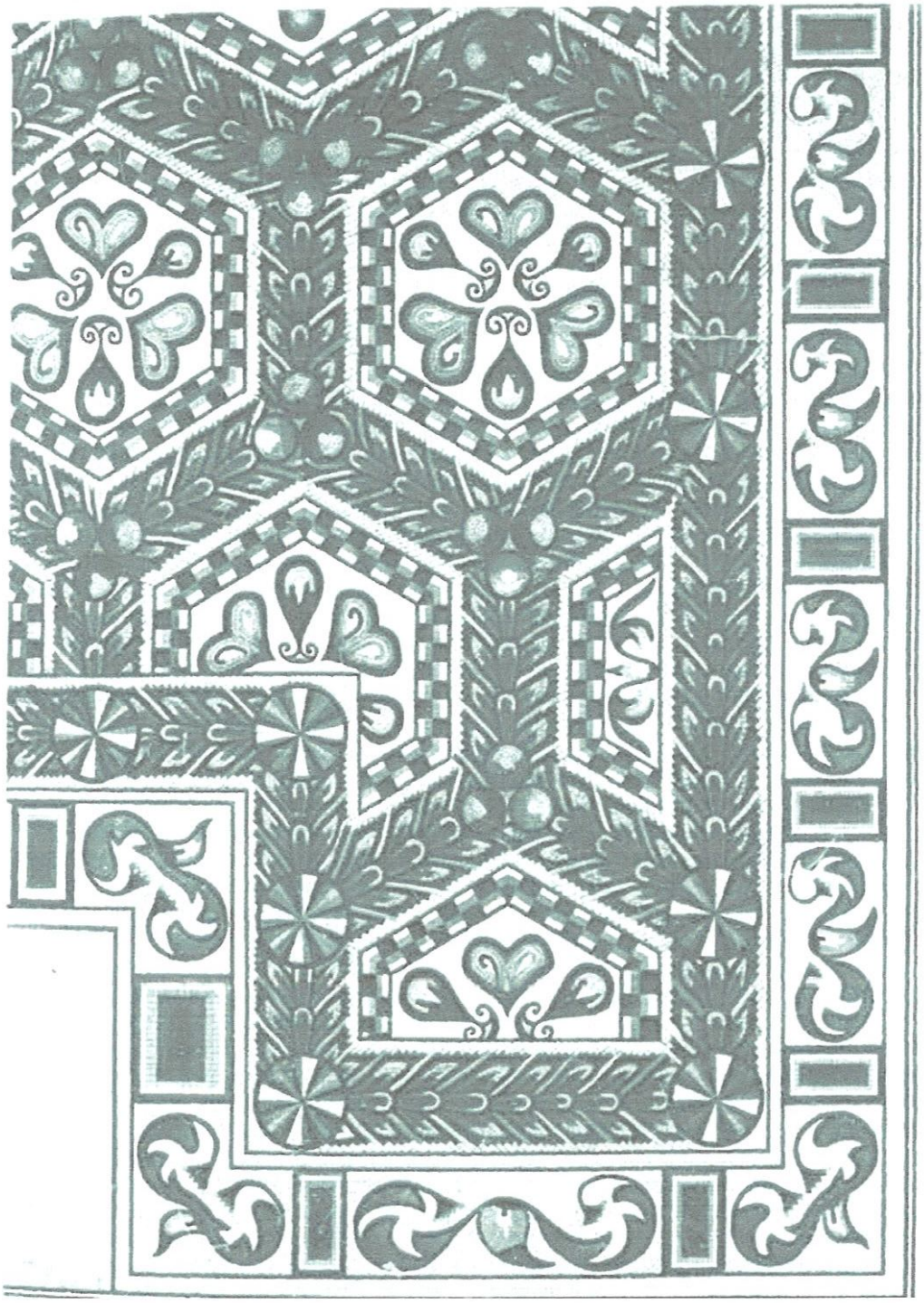

شكل 17 : يمثل قطعة فسيفساء وجدت بضريح طريق القبور ، عن دولمار.

الشكل 18(أ): يمثل كولومباريوم على طريق القبور.

الشكل 18(ب): يمثل احد الأضرحة على طريق القبور

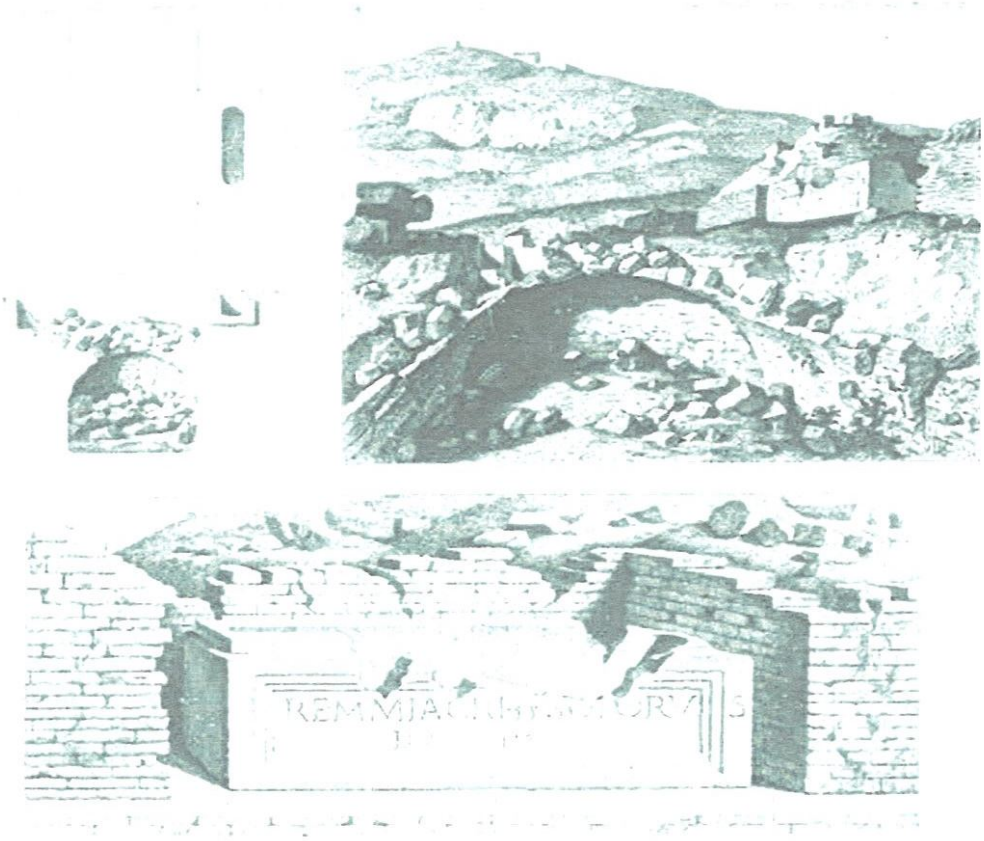

الشكل 14: ضريح وجد بالمقبرة الجنوبية الغربية للمدينة، عن دولمار.

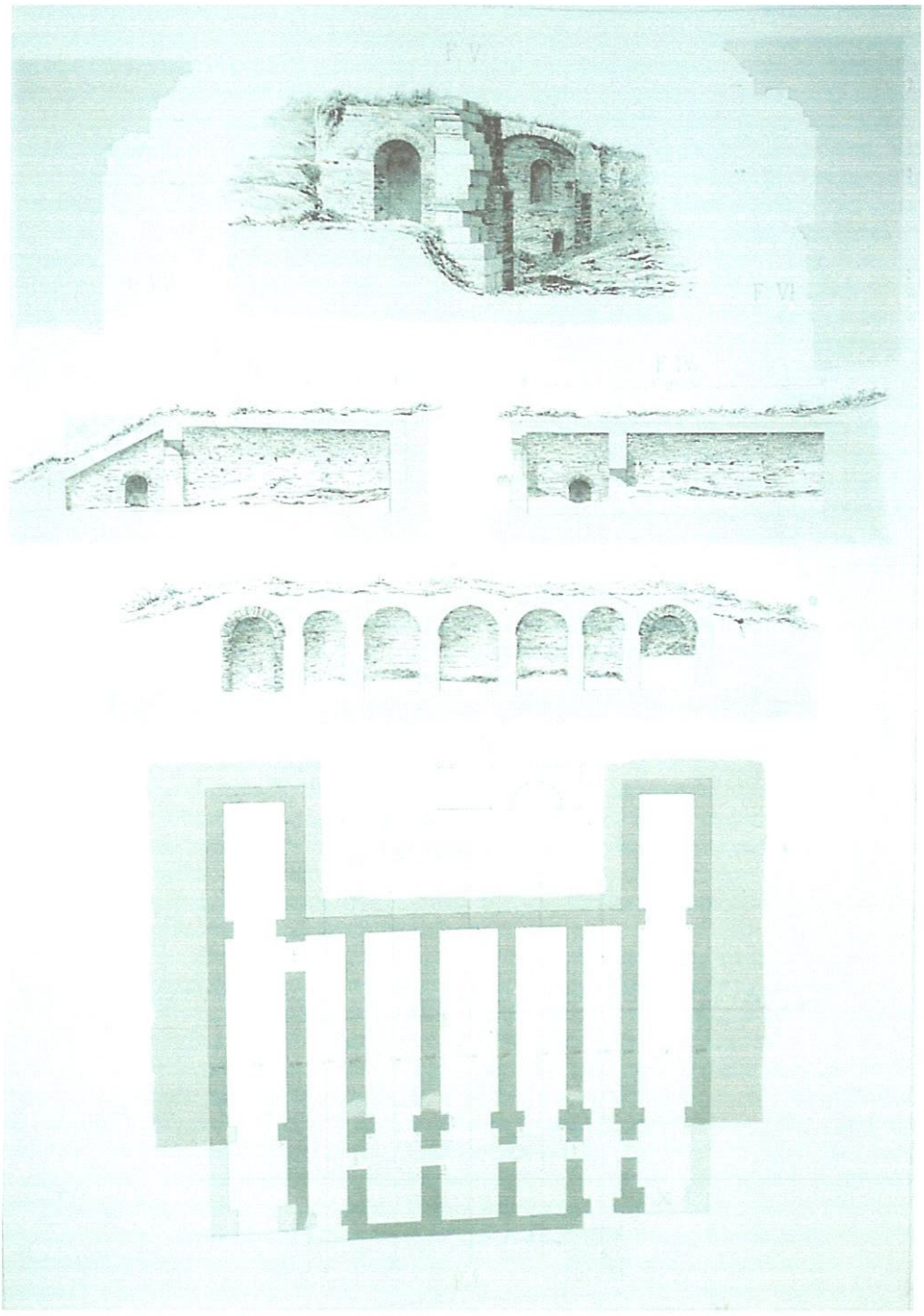

الشكل 20: رسم ومقطع و مخطط للخزانات الموجودة إلى اليوم كأساسات لمبنى المسرح الجهوي، عن رافوازي .

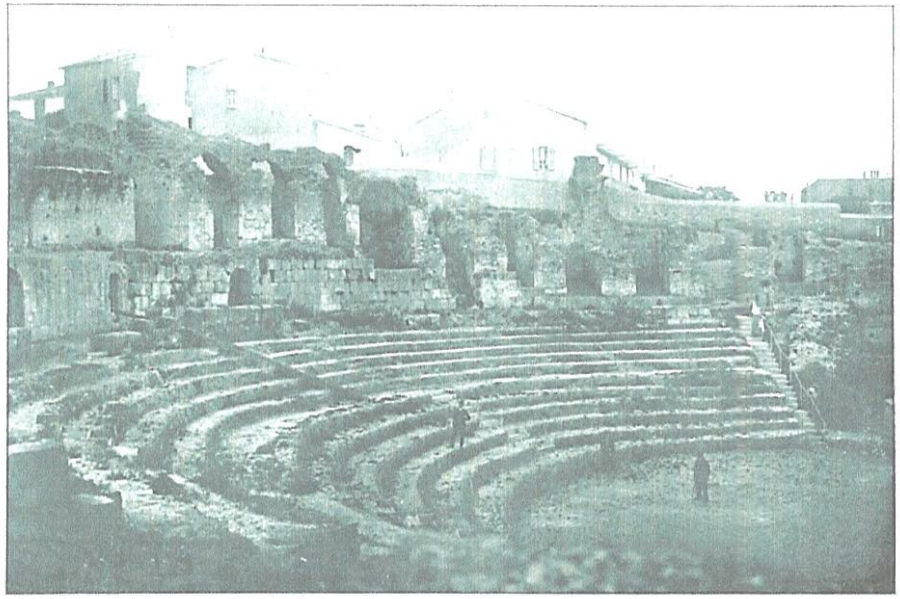

LE THÉATRE ROMAIN EN 1908

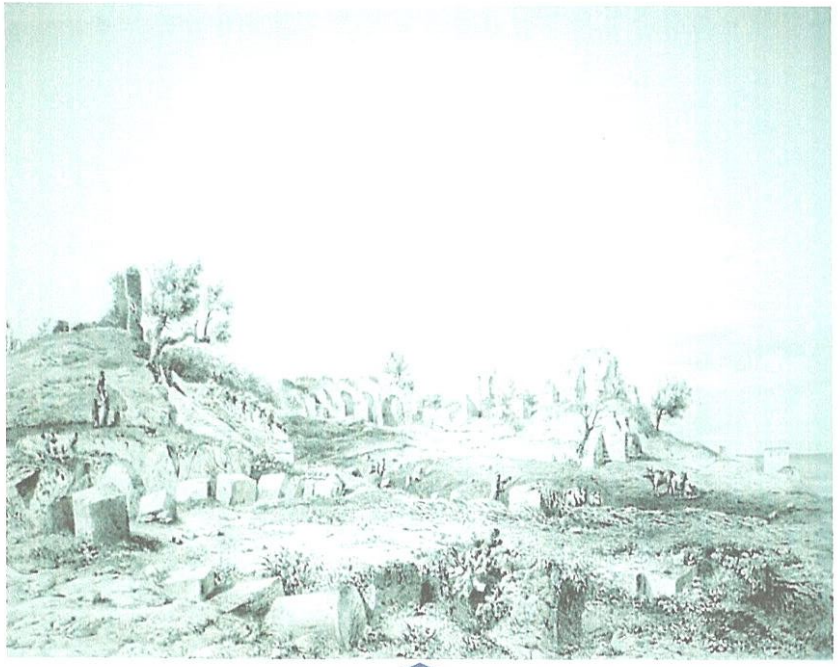

الشكل 21 (أ): المسرح الروماني سنة 1840م، عن رافوازي.

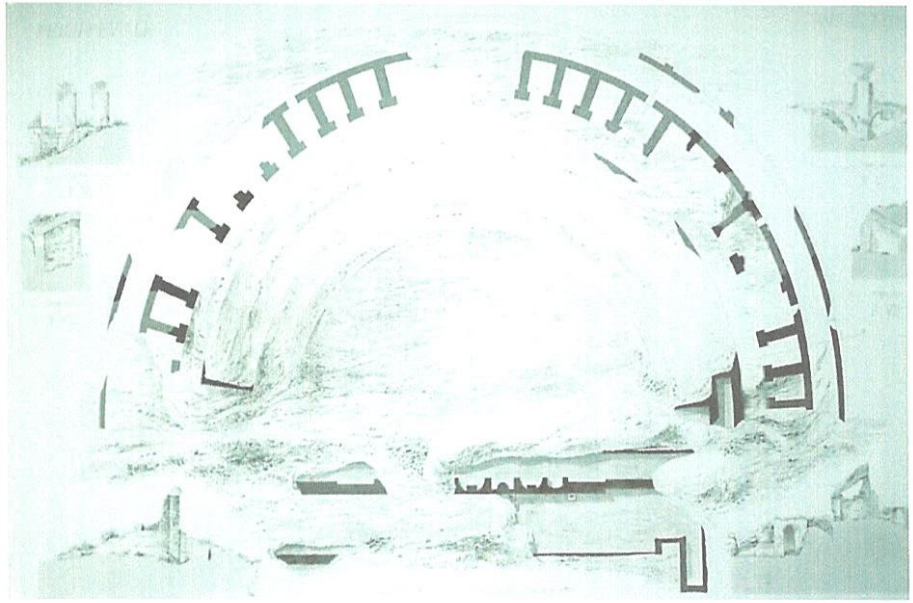

الشكل 21 (ب): مخطط المسرح الروماني مع وجود جزء المنصة،عن رافوازي.

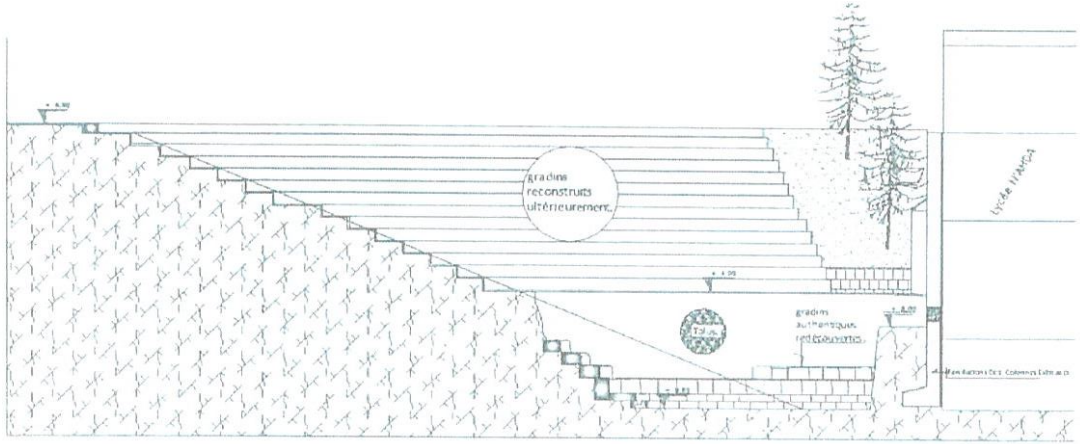

PL.N°16 : Coupe sur l'hémicycle

الشكل 22 (ب): يمثل مقطعا عرضيا لمدرج المسرح في ظل الاكتشافات الجديدة. تقرير بعثة المركز الوطني للبحث في علم الآثار.

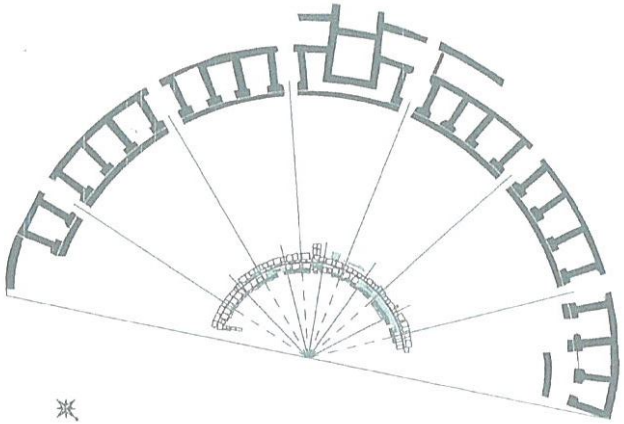

PLAN DES ELEMENTS ARCHEOLOGIQUES,
en rouge les nouvelles découvertes, en noir les anciens éléments in situ
et et le cheminement d'accès en escalier depuis les loges.

الشكل 22 (أ): يمثل مخطط المسرح الروماني، (تقرير بعثة المركز الوطني للبحث في علم الآثار)

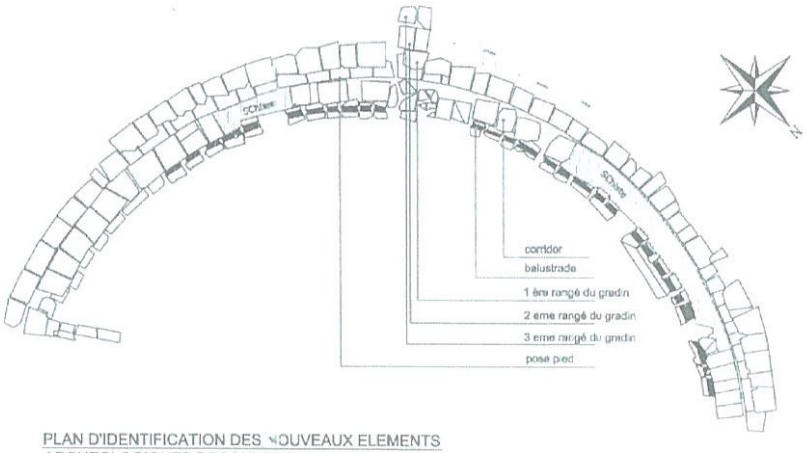

PLAN D'IDENTIFICATION DES NOUVEAUX ELEMENTS
ARCHEOLOGIQUES DECOUVERTS

الشكل 22 (ج): يمثل مخطط المدرجات الأولى، تقرير بعثة المركز الوطني للبحث في الآثار.

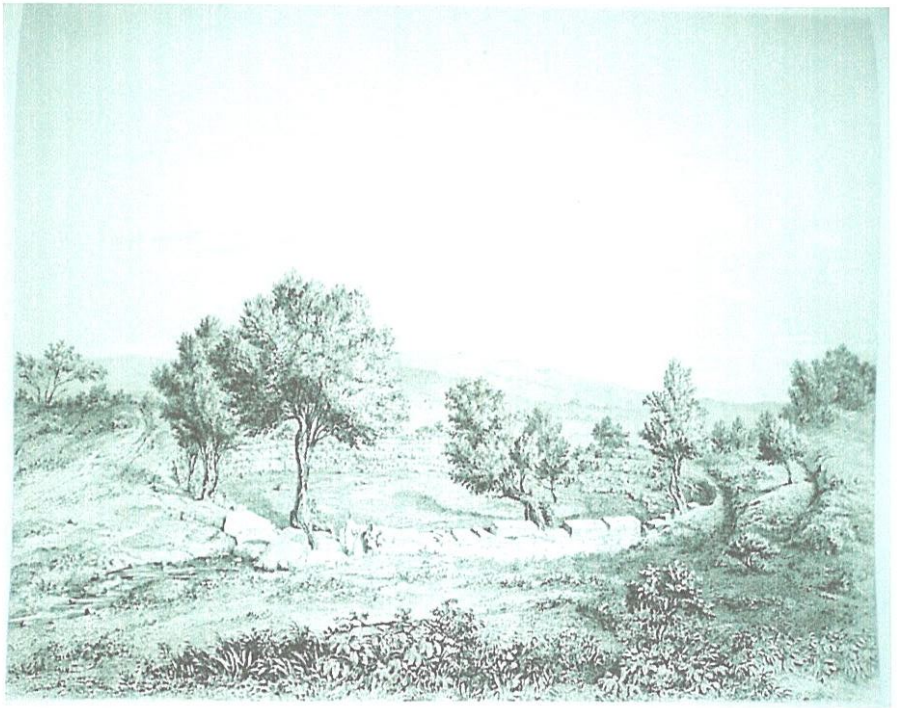

الشكل 23 (أ): لوحة تمثل حالة المدرج أثناء اكتشافه من طرف جنود الاحتلال.

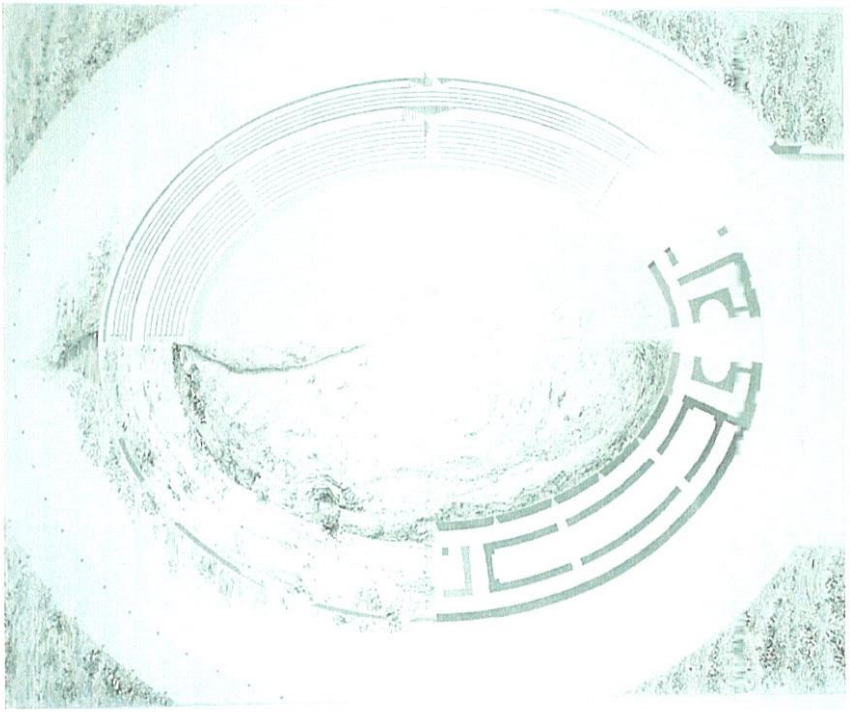

الشكل 23 (ب): مخطط المدرج.

عن رافوازي.

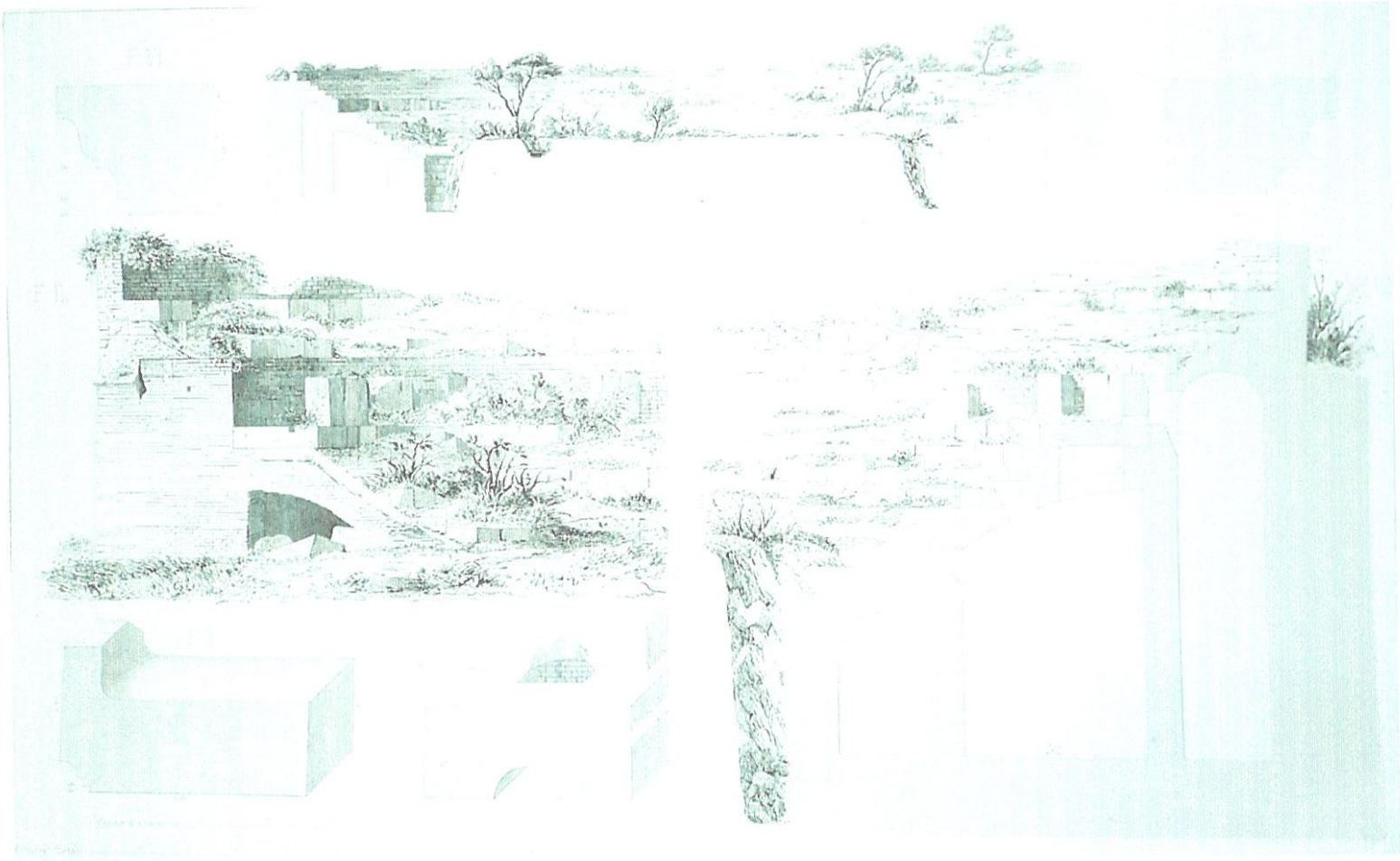

الشكل 24: مقاطع عن المدرج، رافوازي.

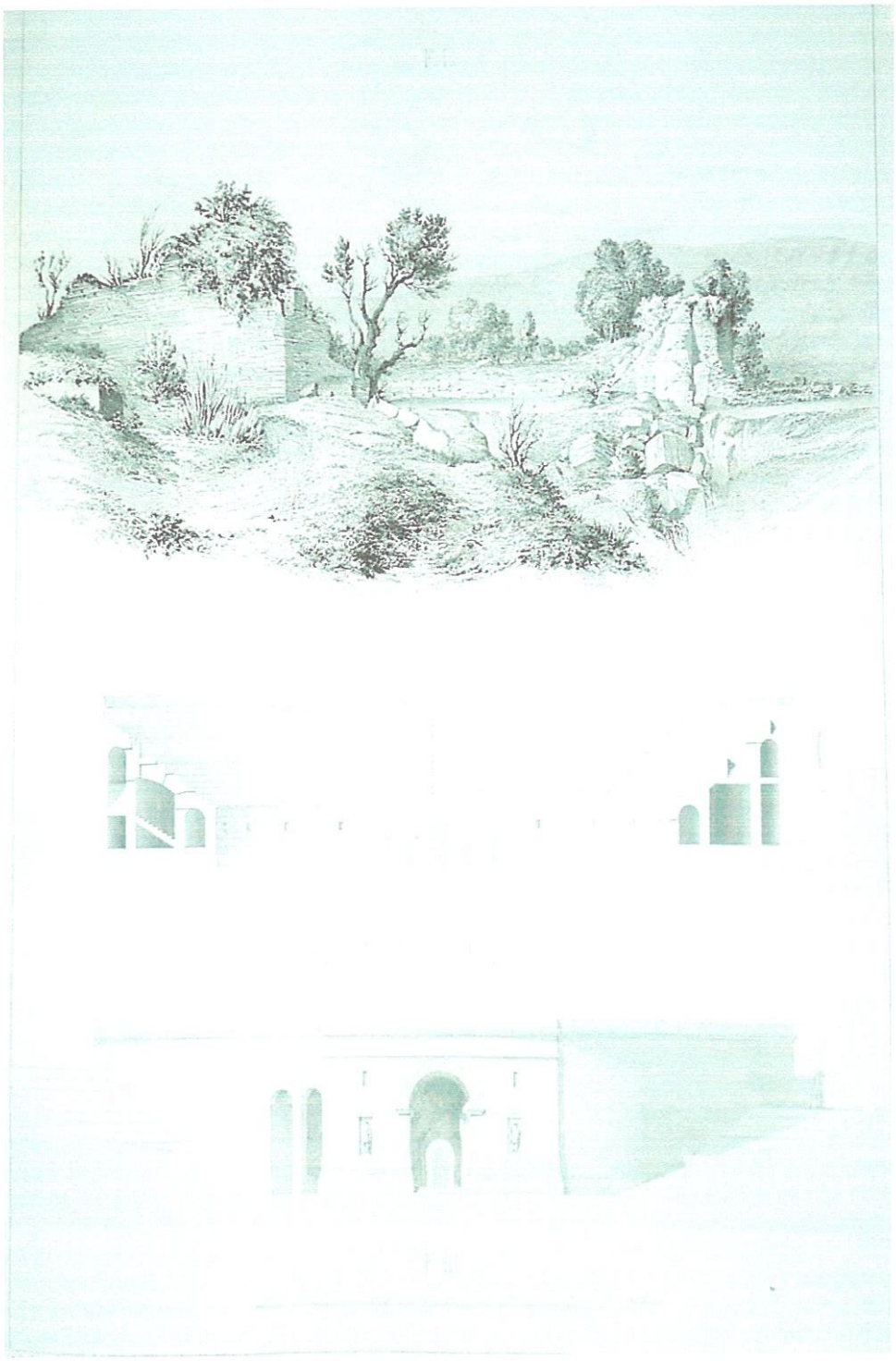

الشكل 25: إعادة تصور للشكل الداخلي و الخارجي للمدرج، رافوازي.

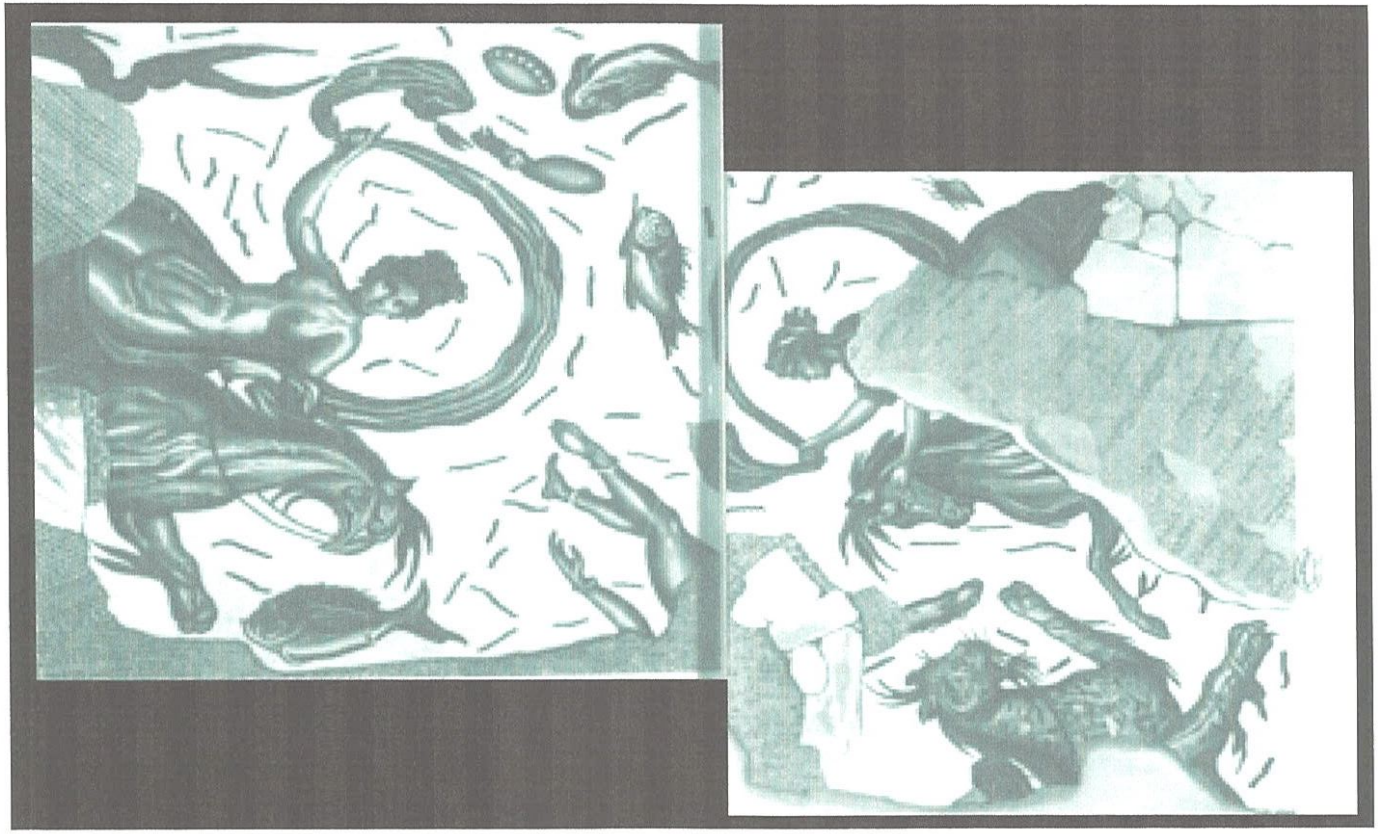

الشكل 26: يمثل قطعة فسيفساء عثر عليها بحمام روسيكاد، عن دولمار.

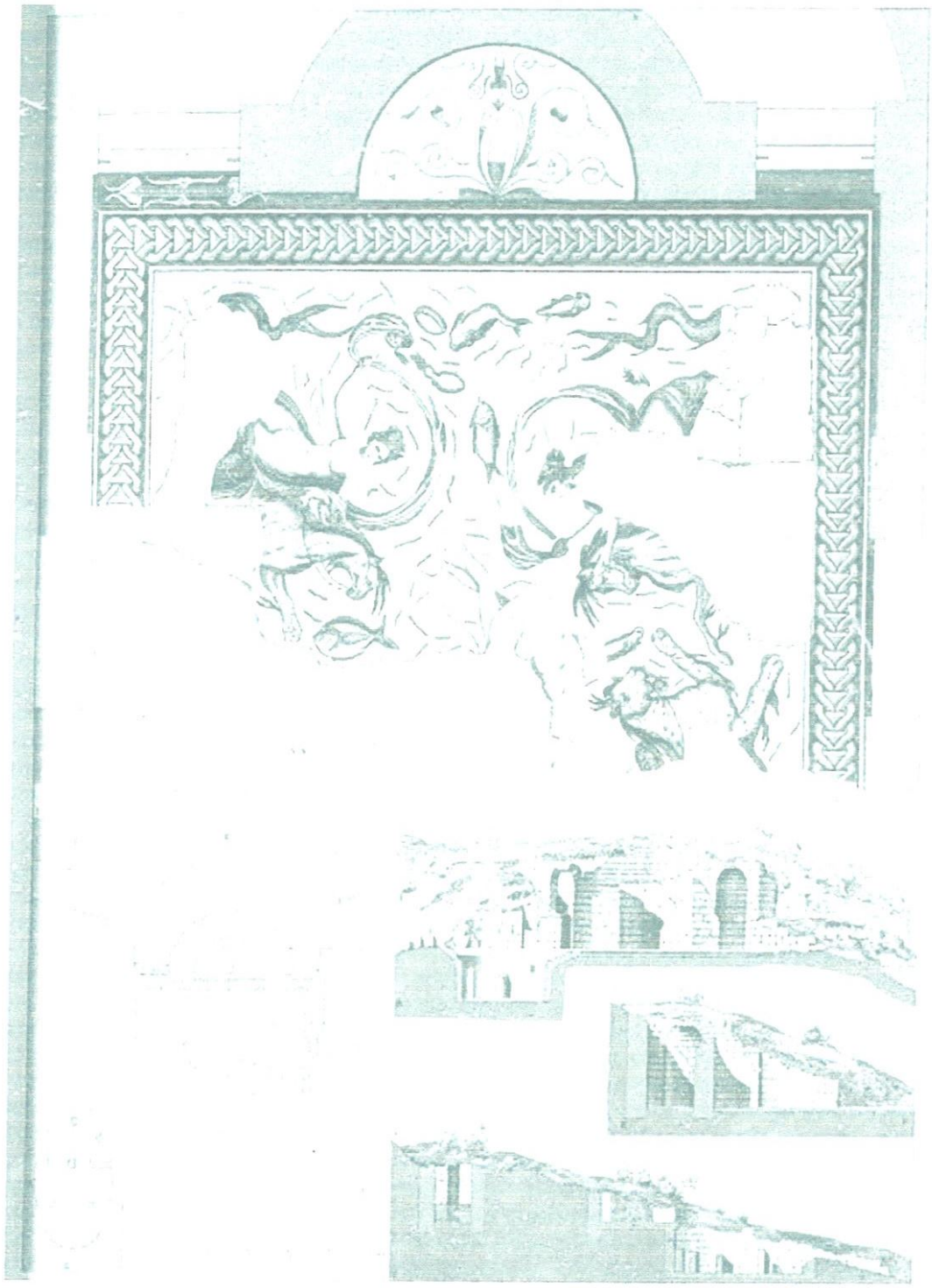

الشكل 27: يمثل مقاطع و مخطط حمام روسيكاد، عن دولمار.

قائمة المصادر و المراجع

أولا باللغة الفرنسية :

Anonyme. Recueil des itinéraires anciens : comprenant l'Itinéraire d'Antonin, la Table de Peutinger et un choix de périples grecs.Paris 1845.

Ajasson De grandsagne , Histoire naturelle de Pline , Paris, 1829.

Allard (Paul) . Histoire des persécutions. La persécution de Dioclétien et le triomphe de l'Eglise. tome I paris 1900.

Bertrand, Louis. Histoire de Philippeville (1838-1903). Philippeville, 1903.

Bertrand L, catalogue du musée archéologique de Philippeville, Philippeville 1914.

Bertrand L, un tronçon de la voie romaine découverte prés de philippeville.in BCTH 1905.

Bertrand L. fouille dans la propriété Lesieure prés de Philippeville,. IN. BCTH.1903.

Bertrand L, monographie du théâtre romain de Philippeville, in RSAC 1908.

Bertrand L, notes et documents sur Rusicade, in RSAC 1906.

Bertrand Louis, La nécropole phénicienne de stora. In . BCTH 1901.

Charle Vars, Rusicade et Stora dans l'antiquité , Alger, 1896.

Collection des classiques latins .avec la traduction en regard .publiée par C.L.F Panckancke .Editeur rue des poilevins ,livre V.

De Lamare Adolhphe, Etude sur stora , in Bull Ant de France ,3 série, tome 4. 1859.

De Lamare Adolhphe , Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840 1841 1842 1843 1844 et 1845. Paris.

De Marceilly, Notices sur les vestiges de l'occupation romaine dan le cercle de Philippeville , in (RSAC)1953.

Dr Shaw, Voyage dans la Régence D'Alger, Paris 1830. P 336.

Edmande Leblant, Découverte d'une inscription chrétienne à Philippeville , IN BCTHS 1886.

Edouard solal, Philippeville et sa région 1837- 1870, Edition la maison des livres, Alger.

Emanuel Vincent Fenech , Histoire de Philippeville , Philippeville1852.

Emile Lederman. Philippeville et ses environs.

Fournel Henry , Richesse minérale de l'Algerie , Paris, 1850.

Feraud (Ch), Documents pour servir à l'histoire de Philippeville, IN *Rev. af* XIX, 1875

Gsell (St), Les monuments antiques de l'Algerie, Paris 1901, Tome I et II

Gsell(St), Atlas archéologique de l'Algérie, Alger /Paris.1911

Gsel(St). musées de l'Algérie et de la Tunisie. Paris. 1898.

Gsel(St), Fouille de gouraya ,Paris 1903.

Gsell (st), les inscriptions latines de l'Algérie, Paris. 1957.

Judas. Sur l'identité des mots thapsus et saf saf .in mémoire de la société des antiquaires de France.

Julle chabassiere et L Bertrand ; Rusicade d'après ses ruines, Extrait du bulletin de l'Académie d'Hippone n° 31 BONE 1904.

Nisard. Collections des Auteures latin. Paris 1850.

Mohamed Sadek Messikh. L'antique rusicade. Edition Rais.

Marmol y, Luis del. L'Afrique de Marmol de la traduction de Nicolas Perrot, sieur d'Ablancourt.[Pierre Richelet]. 1667.

O.Mac Carthy. Les Antiquités Algerinnes.Alger.1885.

Paul-Albert Fevrier. Approches du Maghreb romain Edisud la calade 13090 Aix-en-provence .

Pellisssier (E), Exploration de l'Algérie pendant les années 1840 ,1841,1842. Paris.

Pierre Salama, Les voies romaine de l'Afrique du nord, ,Alger. 1951.

Ravoisié Amable, Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840, 1841, 1842, Paris, 1846.

Tauxier Henri Itinéraire de Rusicade à Hippone in .Bull de L'acad d'Hippone n°08 (1869).

RAVOISIE, A.,

ثانيا باللغة العربية :

أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الاسلامي القاهرة.

الحسن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر الجزء الثاني الطبعة الثانية، دار المغرب الإسلامي.

د. محمد البشير شنيتي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985.

محي الدين شبلي، دليل المتحف البلدي روسيكاد، عين مليلة، 2008 .

وثائق مديرية الثقافة لولاية سكيكدة .

فهرس البحث

المقدمة ..... أ، ب، ج، د

مدخل:

الموقع الجغرافي 7

أصل التسمية 11

تاريخ الأبحاث..... 20

أولاً. الميناء و الطرق

الميناء 30

الطرق..... 33

طريق روسيكاد سطورة 33

طريق روسيكاد سيرتا..... 34

طريق روسيكاد هيبوريجيوس..... 39

ثانياً.المقابر

المقبرة البونية _ الرومانية..... 43

أضرحة طريق القبور..... 45

المقبرة المسيحية..... 49

مقابر المدينة..... 51

ثالثاً الأسوار:

السور الخارجي..... 57

السور الداخلي..... 58

رابعا التوزيع العمراني:
التوزيع العمراني..... 61
الفوروم..... 65
المعابد..... 69
المسرح..... 74
المدرج..... 78
الحمامات 80
النافورة العملاقة..... 82
الفيلات 83
المنشات المائية 87
المخازن 96
المتحف..... 98

الخاتمة 103
ملحق الأشكال
ملحق الصور
الفهرس